المبحث الثاني
اشتباك الجيشين

دعاء النبي ﷺ:

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**».

[مسلم في الجهاد والسير (١٧٤٣)، وأحمد عن أنس ﷺ (١٢٥٣٨، ١٣٦٤٩)].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ يَرْبُوعَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، اكْفِنِي كُلَّ شَيْءٍ وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**». [الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ٥/ ٣٤٩ رقم ٢٩٢٥].

إن قتلت فأين أنا؟:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلتُ [فِي سَبِيلِ اللهِ]، فَأَيْنَ أَنَا [يَا رَسُولَ اللهِ]؟ قَالَ: «فِي الجَنَّةِ»**، فَأَلقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، [وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: تَخَلَّى مِنْ طَعَامِ الدُّنْيَا]». [البخاري في المغازي (٤٠٤٦)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٩)، والنسائي في الجهاد (٣١٥٤)، ومسند أحمد ٢٢/ ٢١٦ رقم ١٤٣١٤].

قال ابن حجر: «لَكِنْ وَقَعَ التَّصْرِيحُ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَالْقِصَّةُ الَّتِي فِي الْبَابِ وَقَعَ التَّصْرِيحُ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ ﷺ أَنَّهَا كَانَتْ يَوْمَ أُحُدٍ، فَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُمَا قِصَّتَانِ وَقَعَتَا لِرَجُلَيْنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَفِيهِ: مَا كَانَ الصَّحَابَةُ ﷺ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ نَصْرِ الْإِسْلَامِ، وَالرَّغْبَةِ فِي الشَّهَادَةِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ».

[فتح الباري لابن حجر ٧/ ٣٥٤].

ساعة الصفر:

واقتربت ساعة الصفر، فبعد أن أتم الفريقان تعبئتهما، وأخذ كل من القادة والجنود مكانه المرسوم له، تقاتَل الخصمان وجهًا لوجه.

ثلاثة آلاف من فرسان المشركين وأبطالهم، تقودهم الحمية الجاهلية، وتدفعهم الرغبة في الأخذ بالثأر، مجهزين أعظم تجهيز ومسلحين أحسن تسليح، يواجهون سبعمائة من المسلمين، تدفعهم الرغبة الصادقة في الاستشهاد في سبيل الله والانتصار لرفع كلمة الله، ليس لديهم ما يتفوقون به على خصومهم سوى سلاح الإيمان القوي، وتجهيزات العقيدة الصادقة الثابتة الصامدة، وأعظِم به من سلاح وأكرم بها من تجهيزات.

أخذ كل من الفريقين يحرض رجاله على الصبر والثبات، وكان الرسول ﷺ قد خطب جيشه عند التعبئة وأصدر أوامره بأن يظل الجيش الإسلامي في موقف الدفاع حتى يتلقى منه الأوامر الخاصة حيث قال: «**لا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى نَأْمُرَهُ بِالقِتَالِ**».

وقد ركز بنو عبد الدار لواء المشركين في مقدمة الصفوف وأحاط به ابنا أبي طلحة العبدري.

وبعد إتمام التعبئة تقارب الجمعان، فجاشت العواطف وركضت القلوب بين الجنوب، واحمرت الحدق، وارتفع غليان الدم في العروق، واختلط صهيل الخيل بقعقعة السلاح، ونداءات الأبطال وصيحات الفرسان». [غزوة أُحد لباشميل ٩٧-٩٨].

مصرع قائد حملة لواء مكة:

«وقد أبدى حملة اللواء العبدريون من ضروب الشجاعة والثبات ما أثبت أنهم فعلًا في مستوى مسؤولية حمل الألوية، فقد قاتلوا حول لوائهم بضراوة وشراسة وعناد، وظلوا محافظين عليه مرفوعًا، يدافعون عنه دفاع المستميت حتى أباد المسلمون مفرزتهم عن بكرة أبيها.

وكان أول وقود المعركة قائد حملة لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري، كان من أشجع فرسان قريش، وكان يوم أحد راكبًا جملًا ومعه لواء مكة، وكان المسلمون لشجاعته يسمونه كبش الكتيبة».

[غزوة أُحد لباشميل ١٠٠].

قال الطبري: «ثُمَّ إِنَّ طَلْحَةَ بْنَ عُثْمَانَ صَاحِبَ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ قَامَ، فَقَالَ: **يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْجَلُنَا بِسُيُوفِكُمْ إِلَى النَّارِ، وَيَعْجَلُكُمْ بِسُيُوفِنَا إِلَى الجَنَّةِ، فَهَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يَعْجَلُهُ اللهُ بِسَيْفِي إِلَى الجَنَّةِ، أَوْ يَعْجَلُنِي بِسَيْفِهِ إِلَى النَّارِ!** فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَقَالَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا أُفَارِقُكَ حَتَّى أَعْجَلَكَ بِسَيْفِي إِلَى النَّارِ، أَوْ تَعْجَلَنِي بِسَيْفِكَ إِلَى الجَنَّةِ**، فَضَرَبَهُ عَلِيٌّ فَقَطَعَ رِجْلَهُ فَسَقَطَ فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ، فَقَالَ: **أَنْشُدُكَ اللهَ وَالرَّحِمَ يَا بْنَ عَمٍّ!** فَتَرَكَهُ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ لِعَلِيٍّ ﷺ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجْهِزَ عَلَيْهِ؟**»، قَالَ: **إِنَّ ابْنَ عَمِّي نَاشَدَنِي حِينَ انْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ**».

[تاريخ الطبري ٢/ ٥٠٩، السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٧٣].

وقال الواقدي: «وَصَاحَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: **مَنْ يُبَارِزُ؟** فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: **هَل لَك فِي البِرَازِ؟** قَالَ طَلْحَةُ: نَعَمْ، فَبَرَزَا بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَرَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ تَحْتَ الرَّايَةِ عَلَيْهِ دِرْعَانِ وَمِغْفَرٌ وَبَيْضَةٌ، فَالتَقَيَا فَبَدَرَهُ عَلِيٌّ ﷺ فَضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَمَضَى السَّيْفُ حَتَّى فَلَقَ هَامَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى لِحْيَتِهِ، فَوَقَعَ طَلْحَةُ، وَانْصَرَفَ عَلِيٌّ ﷺ، فَقِيلَ لِعَلِيٍّ ﷺ: **أَلا ذَفَّفْتَ عَلَيْهِ؟** قَالَ: **إِنَّهُ لـمَّا صُرِعَ اسْتَقْبَلَتْنِي عَوْرَتُهُ فَعَطَفَنِي عَلَيْهِ الرَّحِمُ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ سَيَقْتُلُهُ، هُوَ كَبْشُ الكَتِيبَةِ**.

وَيُقَالُ: حَمَلَ عَلَيْهِ طَلحَةُ فَاتَّقَاهُ عَلِيٌّ ﷺ بِالدَّرَقَةِ، فَلَمْ يَصْنَعْ سَيْفُهُ شَيْئًا، وَحَمَلَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ ﷺ، وَعَلَى طَلحَةَ دِرْعٌ مُشَمَّرَةٌ، فَضَرَبَ سَاقَيْهِ فَقَطَعَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُذَفِّفَ عَلَيْهِ، فَسَأَلَهُ بِالرَّحِمِ فَتَرَكَهُ عَلِيٌّ ﷺ، فَلَمْ يُذَفِّفْ عَلَيْهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ فَذَفَّفَ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ: إنَّ عَلِيًّا ذَفَّفَ عَلَيْهِ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٢٥-٢٢٦].

نقل المعركة حول لواء قريش:

«وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين، فقد كان هجوم المسلمين المضاد مركزًا بصفة خاصة على حملة هذا اللواء؛ ولذلك دار القتال أول ما دار بضراوة وعنف حول هذا اللواء.

فقد كان حَملته من صناديد قريش المشهورين بالشجاعة والثبات، وقد كان هدف المسلمين من تركيز الهجوم على حملة اللواء الإطاحة بهذا اللواء؛ لأن الإطاحة باللواء ـ وخاصة في ذلك العصر ـ يعجل بهزيمة من يسقط لواؤهم؛ ولهذا كان لا يتحمل مسؤولية حمل اللواء في تلك المعارك إلا الأبطال المغاوير». [غزوة أُحد لباشميل ١٠٠].

قال الواقدي: «فَلَـمَّا قُتِلَ طَلحَةُ سُرَّ رَسُولُ الله ﷺ وَأَظْهَرَ التَّكْبِيرَ وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ شَدَّ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى كَتَائِبِ الْمُشْرِكِينَ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ حَتَّى نُقِضَتْ صُفُوفُهُمْ، وَمَا قُتِلَ إلَّا طَلحَةُ.

ثُمَّ حَمَلَ لِوَاءَهُمْ بَعْدَ طَلحَةَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلحَةَ، أَبُو شَيْبَةَ وَهُوَ أَمَامَ النِّسْوَةِ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

إنَّ عَلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ حَقَّا أَنْ تُخْضَـبَ الصَّـعْدَةُ[1] أَوْ تَنْـدَقَّا

فَتَقَدَّمَ بِاللِّوَاءِ، وَالنِّسَاءُ يُحَرِّضْنَ وَيَضْرِبْنَ بِالدُّفُوفِ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى كَاهِلِهِ فَقَطَعَ يَدَهُ وَكَتِفَهُ، حَتَّى انْتَهَى إلَى مُؤْتَزَرِهِ، حَتَّى بَدَا سَحْرُهُ، ثُمَّ رَجَعَ، وَهُوَ يَقُولُ: **أَنَا ابْنُ سَاقِي الْحَجِيجَ**، ثُمَّ حَمَلَهُ أَبُو سَعْدِ بْنُ أَبِي طَلحَةَ، فَرَمَاهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَأَصَابَ حَنْجَرَتَهُ، وَكَانَ دَارِعًا وَعَلَيْهِ مِغْفَرٌ لا رَفْرَفَ لَهُ، فَكَانَتْ حَنْجَرَتُهُ بَادِيَةً فَأَدْلَعَ لِسَانَهُ إدْلاعَ الْكَلبِ.

وَيُقَالُ: إنَّ أَبَا سَعْدٍ لـمَّا حَمَلَ اللِّوَاءَ قَامَ النِّسَاءُ خَلْفَهُ يَقُلْنَ:

ضَرْبًا بَنِي عَبْدِ الدَّارْ ضَرْبًا حُمَاةَ الأَدْبَارْ

ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارْ

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: فَأَضْرِبُهُ فَأَقْطَعُ يَدَهُ الْيُمْنَى، فَأَخَذَ اللِّوَاءَ بِالْيُسْرَى، فَأَحْمِلُ عَلَى يَدِهِ الْيُسْرَى فَضَرَبْتُهَا فَقَطَعْتُهَا، فَأَخَذَ اللِّوَاءَ بِذِرَاعَيْهِ جَمِيعًا فَضَمَّهُ إلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ حَنَى عَلَيْهِ ظَهْرَهُ، قَالَ سَعْدٌ: فَأَدْخَلَ سِيَةَ الْقَوْسِ (ما عطف من طرفيها) بَيْنَ الدِّرْعِ وَالْمِغْفَرِ، فَأَقْلَعُ الْمِغْفَرَ فَأَرْمِي بِهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ ضَرَبْتُهُ حَتَّى

(١) **الصعدة**: نوع من الرماح.

قَتَلْتُهُ، ثُمَّ أَخَذْتُ أَسْلُبُهُ دِرْعَهُ، فَنَهَضَ إِلَيَّ سُبَيْعُ بْنُ عَبْدِ عَوْفٍ وَنَفَرٌ مَعَهُ فَمَنَعُونِي سَلَبَهُ، وَكَانَ سَلَبُهُ أَجْوَدَ سَلَبِ رَجُلٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ـ دِرْعٌ فَضْفَاضَةٌ، وَمِغْفَرٌ وَسَيْفٌ جَيِّدٌ ـ وَلَكِنْ حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ.

وَهَذَا أَثْبَتُ القَوْلَيْنِ، وَهَكَذَا اجْتُمِعَ عَلَيْهِ أَنَّ سَعْدًا ﷺ قَتَلَهُ.

ثُمَّ حَمَلَهُ مُسَافِعُ بْنُ طَلحَةَ بْنِ أَبِي طَلحَةَ، فَرَمَاهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الأَقْلَحِ، وَقَالَ: **خُذْهَا، وَأَنَا ابْنُ أَبِي الأَقْلَحِ**، فَقَتَلَهُ، فَحُمِلَ إِلَى أُمِّهِ سُلافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الشُّهَيدِ، وَهِيَ مَعَ النِّسَاءِ، فَقَالَتْ: مَنْ أَصَابَكَ؟ قَالَ: لا أَدْرِي، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: **خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ أَبِي الأَقْلَحِ**، قَالَتْ سُلافَةُ: **أَقْلَحِيٌّ وَاللهِ!** أَيْ مِنْ رَهْطِي.

وَيُقَالُ: قَالَ: **خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ كِسْرَةَ** ـ كَانُوا يُقَالُ لَهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ: بَنُو كِسَرِ الذَّهَبِ، فَقَالَ لأُمِّهِ حِينَ سَأَلَتْهُ: مَنْ قَتَلَكَ؟ قَالَ: لا أَدْرِى، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ كِسْرَةَ، قَالَتْ سُلافَةُ: إِحْدَى وَاللهِ كِسْرَي، تَقُولُ: إِنَّهُ رَجُلٌ مِنَّا، فَيَوْمَئِذٍ نَذَرَتْ أَنْ تَشْرَبَ فِي قِحْفِ رَأْسِ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ الخَمْرَ، وَجَعَلَتْ تَقُولُ: لِمَنْ جَاءَ بِهِ مِائَةٌ مِنْ الإِبِلِ.

ثُمَّ حَمَلَهُ كِلابُ بْنُ طَلحَةَ بْنِ أَبِي طَلحَةَ، فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ ﷺ، ثُمَّ حَمَلَهُ الجُلاَّسُ بْنُ طَلحَةَ بْنِ أَبِي طَلحَةَ، فَقَتَلَهُ طَلحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ حَمَلَهُ أَرْطَاةُ بْنُ شُرَحْبِيلَ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ ﷺ، ثُمَّ حَمَلَهُ شُرَيْحُ بْنُ قَارِظٍ، فَلَسْنَا نَدْرِى مَنْ قَتَلَهُ، ثُمَّ حَمَلَهُ صُؤَابٌ غُلامُهُمْ فَاخْتُلِفَ فِي قَتْلِهِ، فَقَائِلٌ قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، وَقَائِلٌ: عَلِيٌّ ﷺ، وَقَائِلٌ: قُزْمَانُ ـ وَكَانَ أَثْبَتَهُمْ عِنْدَنَا قُزْمَانُ.

قَالَ: انْتَهَى إِلَيْهِ قُزْمَانُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَقَطَعَ يَدَهُ اليُمْنَى، فَاحْتَمَلَ اللِّوَاءَ بِاليُسْرَى، ثُمَّ قَطَعَ اليُسْرَى فَاحْتَضَنَ اللِّوَاءَ بِذِرَاعَيْهِ وَعَضُدَيْهِ، ثُمَّ حَنَى عَلَيْهِ ظَهْرَهُ، وَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ هَل أُعْذِرْتُ؟ فَحَمَلَ عَلَيْهِ قُزْمَانُ فَقَتَلَهُ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٢٦-٢٢٨].

احتدام المعركة:

«وبينما الصراع يدور رهيبًا هكذا حول لواء مكة، كانت نيران المعركة قد اندلعت واشتد القتال بين الفريقين في كل نقطة من نقاط الميدان.

فقد اختلط الفريقان واندفعت قريش إلى القتال يثور في عروقها طلب الثأر لمن مات من أشرافها وساداتها منذ عام ببدر، وسادت روح الإيمان صفوف المؤمنين المجاهدين فانطلقوا ـ خلال الشرك ـ انطلاق الفيضان تقطعت أمامه السدود.

وكان حمزة بن عبد المطلب وأبو دجانة الأنصاري كفرسي رهان في سباق البطولة، حيث انطلقا يهدان صفوف المشركين هدًّا.

أما حمزة ﷺ فبعد أن أصدر الرسول ﷺ أوامره بالقتال، هتف بكلمة التعارف التي اتفق عليها المسلمون وهي (**أمت أمت**) ثم اندفع إلى قلب جيش الشرك كالصاعقة وفي يديه سيفان لا يقف له أحد.

فبالإضافة إلى مشاركته الفعالة في إبادة حملة لواء المشركين، فعل الأفاعيل بأبطالهم الآخرين، وكان يجول الأبطال أمامه كما تجول الريح أمامها الورق اليابس، لما له من هيبة في نفوس الأبطال.

وقد تعرض له أحد فرسان قريش الأفذاذ المشهورين، وهو سباع بن عبد العزى الغبشاني، فناداه حمزة للبراز قائلًا له (في سخرية): هلم إليَّ، فأسرع إليه سباع يكت كتيت الفحل الهائج، فالتقاه حمزة بضربة هاشمية مسلمة جعلته كأمس الدابر.

وقد كان لمقتل سباع هذا أثر سيء في نفوس المشركين؛ لأنه من أبطالهم المعتمد عليهم ساعة الشدة». [غزوة أُحد لباشميل١٠٣-١٠٤].

هجوم المشركين:

«كان المشركون يوم أحد هم البادئين بالهجوم، فقد قامت قوة من مشاتهم بقيادة الخائن أبي عامر الراهب الأوسي، تساندها كوكبة من الفرسان بقيادة عكرمة بن أبي جهل على جناح المسلمين الأيسر بُغية تحطيم هذا الجناح والتسرب إلى داخل الشِّعب لضرب المسلمين من الخلف؛ لإحداث الارتباك في صفوفهم.

ولكن مواقع الجيش الإسلامي التي اختارها الرسول ﷺ لمرابطة جيشه قبل المعركة واحتلال هذا الجيش المواقع التعبوية الهامة في جبل الرماة عند مدخل الشعب أحبط هذه المحاولة إحباطًا كاملًا، حيث قوبل هذا الهجوم ـ وخاصة هجوم الفرسان ـ بسيل منهمر من نبال الرماة في الجبل، كما تصدى المشاة بقيادة الزبير والمقداد للمهاجمين وقاوموهم مقاومة عنيفة، مما أجبر المهاجمين على الارتداد، وقد ساعد في تشتيت المهاجمين ـ على ما يظهر ـ رجال رابطوا في مواقع مختارة من جبل أُحد رجموا المهاجمين بالحجارة وسلطوا عليهم من الصخور قطعًا كبيرة دحرجوها نحوهم، فأحدثت الارتباك في تشكيلاتهم وأجبرتهم على الابتعاد من سفح الجبل.

وقد عاود فرسان مكة الهجوم ثلاث مرات، ولكنهم فشلوا فيها جميعها، وذلك بسبب يقظة الرماة في الجبل، وهذا في أول المعركة، أما في آخرها فقد نجح هجوم خيالة مكة بعد انسحاب الرماة من مواقعهم في الجبل، كما سنفصل ذلك فيما يأتي إن شاء الله». [غزوة أُحد لباشميل٩٨-٩٩]

أولى ثمرات الخطة الحكيمة:

«وكان فشل المشركين في هجومهم الأول هذا أولى ثمرات الخطة الحكيمة الدقيقة التي رسمها الرسول القائد ﷺ لإدارة دفة المعركة، واختار بموجبها المرابطة في ذلك المكان التعبوي الحصين من الشِّعب.

فلو لم يختر الرسول ﷺ ذلك المرتفع من الشِّعب المحاط بهضاب جبل أُحد من جهاته الثلاث، لنجح سلاح خيالة المشركين في التسرب بسرعة إلى مؤخرة الجيش الإسلامي لضربه من الخلف وإشغاله عن مواجهة صدر الجيش المكي.

وبعد أن فشل هجوم الفرسان وتقهقر أبو عامر الفاسق أمام مقاومة المسلمين العنيدة توترت الحالة، ثم حمي الوطيس وصدرت الأوامر من قادة الفريقين بالهجوم العام فاصطدم الجيشان.

وكما هي العادة في اللحظات الأولى من كل معركة، حاول الفريقان الثبات والاستبسال للسيطرة على الموقف، وأبدى كل من أعيان الجيشين شجاعة وبطولة واضحة.

وكان المشركون عندما طارت الشرارة الأولى لإشعال المعركة مغترين بكثرتهم وقوة تسليحهم ووفرة أبطالهم المشهورين بين العرب؛ لذلك كانوا هم البادئين والداعين إلى المبارزة دائمًا».

[غزوة أُحد لباشميل٩٩-١٠٠].

الهزيمة تنزل بجيش مكة:

«وشد المسلمون على صفوف المشركين فزعزعوها وأشاعوا الذعر فيها وبدأ الاضطراب في صفوف جيش مكة.

وساد الاضطراب صفوفهم بعد أن سقط لواؤهم على الأرض عقب إبادة المسلمين لجميع أفراد حملة هذا اللواء، فأخذت روحهم المعنوية في الانهيار، وهذا طبيعي ـ بعد سقوط لوائهم ـ لأن سقوط اللواء ـ وخاصة في ذلك العصر ـ معناه بداية الهزيمة.

وهذا الذي عناه أبو سفيان بقوله (لبني عبد الدار) عندما سلم إليهم لواء مكة: «**إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، يا بني عبد الدار إما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه**».

ولقد أوفى بنو عبد الدار على الغاية حيث قاتلوا على اللواء بشراسة وعناد جاهلي حتى أبادتهم سيوف الإسلام عن آخرهم، وهنا سقط اللواء من أيديهم على الأرض، وبقي مطروحًا عليها حتى رفعته ـ بعد كارثة الجبل ـ عَمْرة الحارثية، فالتفت حوله قريش من جديد، وإلى هذا أشار حسان بن ثابت ﷺ يعير قريشًا في شعره بقوله:

فَلَولا لَوَاءُ الحَارِثِيَّةَ أَصْبَحُوا يُبَاعُونَ فِي الأَسْوَاقِ بَيْعَ الجَلائِبِ

[غزوة أُحد لباشميل١٠٤-١٠٥].

رجحان كفة المسلمين:

«وبعد معركة اللواء تلك تبلور الموقف وبدأ رجحان كفة المسلمين في المعركة ظاهرًا، فضاعف المسلمون من حملاتهم وبذلت قريش قصارى جهدها للصمود في وجه المسلمين الذين سيطروا على

الموقف، ولكن دونما جدوى، فقد تخاذل المشركون ـ على كثرتهم ـ أمام المسلمين ـ على قلتهم ـ وأخذوا يولون الفرار، ونزلت الهزيمة بجيش مكة نزول السيل العرم بالسد الخرب المتهدم».

[غزوة أُحد لباشميل ١٠٥].

أسد الله حمزة ﷺ:

عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: كَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ يُقَاتِلُ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ [بِسَيْفَيْنِ] وَيَقُولُ: «**أَنَا أَسَدُ الله**». [المستدرك للحاكم في معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢١٢، ٢١٤ رقم ٤٨٧٥، ٤٨٨٠، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي].

وعَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: كَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ يُقَاتِلُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ بِسَيفَيْنِ، وَيَقُولُ: «**أَنَا أَسَدُ الله وَأَسَدُ رَسُولِهِ**». [مجمع الزوائد رقم ١٥٤٦٣ وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٣/ ١٤٩ رقم ٢٩٥٣]، ورجاله إلى قائله رجال الصحيح. والمصنف لابن أبي شيبة ١٧/ ١٧٨ رقم ٣٢٨٧٢].

وعَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: كَانَ حَمْزَةُ ﷺ يُقَاتِلُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ بِسَيْفَيْنِ، وَيَقُولُ: «**أَنَا أَسَدُ الله**»، قَالَ: فَجَعَلَ يُقْبِلُ وَيُدْبِرُ، فَعَثَرَ، فَوَقَعَ عَلَى قَفَاهُ مُسْتَلْقِيًا وَانْكَشَطَ، وَانْكَشَفَتِ الدِّرْعُ عَنْ بَطْنِهِ، فَأَبْصَرَهُ الْعَبْدُ الْحَبَشِيُّ فَزَرَقَهُ بِرُمْحٍ (رماه به)، أَوْ حَرْبَةٍ، فَنَفَذَهُ بِهَا.

[المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٤٦ رقم ٣٧٩٠٥، وقال الشيخ عوامة: وهذا مرسل، ورجاله ثقات، إلا عمير بن إسحاق، فلا أقل من أنه لا بأس به كما قال النسائي، لا: مقبول].

وعَنْ زَكَرِيَّا، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: «قُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ الَّذِي طَهَّرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ أُحُدٍ». [المصنف لابن أبي شيبة ١٧/ ١٧٩ رقم ، ٣٢٨٧٣ ، ٢٠/ ٣٥١ رقم ٣٧٩٢٠ ، وقال الشيخ عوامة: وهذا مرسل، ورجاله ثقات، إلا أن زكريا بن أبي زائدة، كان كثير التدليس عن الشعبي، وقد عنعن].

وعن وَكِيعٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: لَـمَّا أُصِيبَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ، يَوْمَ أُحُدٍ، وَرَأَوْا مِنَ الْخَيْرِ مَا رَأَوْا، قَالُوا: «**يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا أَصَبْنَا مِنَ الخَيْرِ كَيْ يَزْدَادُوا رَغْبَةً**» فَقَالَ اللهُ: **أَنَا أُبَلِّغُ عَنْكُمْ**، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران].

[المصنف لابن أبي شيبة ١٠/ ٣٠٣ رقم ١٩٧٨٢، ١٧/ ١٧٩ رقم ٣٢٨٧٤، ٢٠/ ٣٤٦ رقم ٣٧٩٠٦].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله ﷺ يَقُولُ: فَقَدَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ حَمْزَةَ حِينَ فَاءَ النَّاسُ مِنَ الْقِتَالِ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: رَأَيْتُهُ عِنْدَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَهُوَ يَقُولُ: «**أَنَا أَسَدُ الله وَأَسَدُ رَسُولِهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ، لِأَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ، وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ**، مِنِ انْهِزَامِهِمْ، فَسَارِ رَسُولُ الله ﷺ نَحْوَهُ، فَلَمَّا رَأَى جَبْهَتَهُ بَكَى، وَلَـمَّا رَأَى مَا مُثِّلَ بِهِ شَهِقَ ثُمَّ

قَالَ: «**أَلَا كُفِّنَ؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَمَى بِثَوْبٍ، قَالَ جَابِرٌ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ الله تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمْزَةُ**». [المستدرك للحاكم في معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢١٩ رقم ٤٩٠٠، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: لَـمَّا أُصِيبَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ ﷺ، وَهُمَا جُنُبَانِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تُغَسِّلُهُمَا**». [مجمع الزوائد ٣/ ١١٨ رقم ٤٠٨٠ ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير [١١/ ٣٩١ رقم ١٢٠٩٤]، وإسناده حسن].

«وعندما بدأ سيل الهزيمة يجرف صفوف المشركين، فَقَدَ المسلمون ـ وهم في غمرة النصر ـ بطلًا من أعظم أبطالها وقائدًا من أمهر قوادها، وهو أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب ﷺ عم النبي ﷺ، وأخوه من الرضاعة، فقد امتدت يد الغدر والاغتيال إلى هذا الأسد وهو يهدم صفوف الشرك بسيفه». [غزوة أُحد لباشميل ١٠٦].

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي بِلَالٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ الشَّيَّابِ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الشِّعْبِ آخِرَ أَصْحَابِهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ غَيْرُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ، فَقَاتَلَ الْعَدُوَّ، فَرَصَدَهُ وَحْشِيٌّ، فَقَتَلَهُ، وَقَدْ قَتَلَ اللهُ بِيَدِ حَمْزَةَ ﷺ مِنَ الْكُفَّارِ أَحَدًا وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَ يُدْعَى أَسَدَ الله.

[مسند الشاميين للطبراني ٢/ ١٩٦ رقم ١١٧٨، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ٥/ ١٦٣ رقم ٢٧٠١].

«لقد كانت بطولةُ حمزة ﷺ يوم أحد من أروع البطولات في عالَم الفروسية، وكانت بطولته أرفع بطولات الأبطال، فكان ـ رضوان الله عليه ـ يقاتل قتال الليوث المغاوير، ويندفعُ إلى قلب جيش المشركين فيبدِّد جموعَهم، وهو يغامرُ مغامرة منقطعة النَّظير، فينكشفُ عنه الأبطال والكُماة الشجعان، ويتطايرون أمامه كما تتطاير أوراق الخريفِ أمام الرِّياح العاتية، وبينما هو على هذه الحال الكريمة المشرقِة المشرِّفةِ، إذ كَمَنَ له وحشيٌّ حتى تمكَّن منه، ثمَّ رماه بحربته غيلة، فأصابت منه مقتلًا أودى بحياته.

وأمَّا كيف كان مصرع أسد الإله، وكيف كان اغتياله، فسنترك وحشيًّا يحدثنا عن ذلك المشهد المثير المؤلم الحزين». [فرسان من عصر النبوة لجمعة ٧٢].

قاتِل حمزة ﷺ يروي القصة:

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُبَيْدِ الله بْنِ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ، فَلَـمَّا قَدِمْنَا حِمْصَ قَالَ لِي عُبَيْدُ الله بْنُ عَدِيٍّ: هَلْ لَكَ فِي وَحْشِيٍّ، نَسْأَلُهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ ﷺ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَكَانَ وَحْشِيٌّ يَسْكُنُ حِمْصَ، فَسَأَلْنَا عَنْهُ، فَقِيلَ لَنَا: هُوَ ذَاكَ فِي ظِلِّ قَصْرِهِ، كَأَنَّهُ خَمِيتٌ (الزق الكبير)، قَالَ: فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِ بِيَسِيرٍ، فَسَلَّمْنَا فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: وَعُبَيْدُ الله مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَتِهِ مَا يَرَى وَحْشِيٌّ إِلا عَيْنَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَقَالَ عُبَيْدُ الله: يَا وَحْشِيُّ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: لا وَالله إِلا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ الخِيَارِ

تَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا أُمُّ قِتَالٍ بِنْتُ أَبِي العِيصِ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلامًا بِمَكَّةَ، فَكُنْتُ أَسْتَرْضِعُ لَهُ، فَحَمَلْتُ ذَلِكَ الغُلامَ مَعَ أُمِّهِ، فَنَاوَلَتُهَا إِيَّاهُ، فَلَكَأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيْكَ، قَالَ: فَكَشَفَ عُبَيْدُ الله عَنْ وَجْهِهِ.

ثُمَّ قَالَ: أَلا تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلايَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي، فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ (عام أُحُد) ـ وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ ـ خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى القِتَالِ، فَلَمَّا أَنْ اصْطَفُّوا لِلقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ (ابن عبد العُزَّى العُبْشَانِي، وكان يكنى بأبي نِيار) فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ﷺ، فَقَالَ: **يَا سِبَاعُ، يَا بْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ** [1] (وكانت أمه أم أنمار مولى شَرِيق بن الأخنس بن شَرِيق، وكانت خَتَّانة بمكة)، **أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ**، قَالَ: **ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ.**

قَالَ: وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ (أسفل البطن إلى العانة) **حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ.**

قَالَ: فَكَانَ ذَاكَ العَهْدَ بِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الإِسْلامُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ رَسُولًا، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لا يَهِيجُ الرُّسُلَ (لا ينالهم منه إزعاج)، **قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «آنْتَ وَحْشِيٌّ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟»، قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي»، قَالَ: فَخَرَجْتُ.**

فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ قُلْتُ: لأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ، فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ (أي: لونه مثل الرماد)، **ثَائِرُ الرَّأْسِ، قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ: وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله بْنُ الفَضْلِ: فَأَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ: وَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَتَلَهُ العَبْدُ الأَسْوَدُ.** [البخاري في المغازي (٤٠٧٢)، ومسند أحمد ٢٥/ ٤٨٠ رقم ١٦٠٧٧].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَقَاتَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ﷺ حَتَّى قَتَلَ أَرْطَاةَ بْنَ عَبْدِ شُرَحْبِيلَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، وَكَانَ أَحَدَ النَّفَرِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ اللِّوَاءَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ سِبَاعُ بْن عَبْدِ الْعُزَّى الْغُبْشَانِيُّ، وَكَانَ يُكَنَّى بِأَبِي نِيَارٍ، فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ: **هَلُمَّ إِلَيَّ يَا بن مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ** ـ وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمَّ أَنْمَارٍ مَوْلَاةُ شَرِيقِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثَّقَفِيِّ.

---

(١) **البظور**: جمع بظر: وهي اللحمة التي تقطع من فرج المرأة عند الختان. قال ابن إسحاق: كانت أمه ختانة بمكة تختن النساء. والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم، وإلا قالوا: خاتنة. ينظر: فتح الباري ٧/ ٣٦٩ سلفية.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: شَرِيقُ بْنُ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ.
وَكَانَتْ خَتَّانَةً بِمَكَّةَ ـ فَلَمَّا الْتَقَيَا ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَقَتَلَهُ.

قَالَ وَحْشِيٌّ، غُلَامُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حَمْزَةَ يَهُدُّ (يهلك، ويروى: يهذ في ابن الأثير (٢/ ١٥٦) ومعناه: يسرع في قتلهم) النَّاسَ بِسَيْفِهِ مَا يُلِيقُ بِهِ شَيْئًا (أي: لا يمر بشيء إلا قطعه، وفي السيرة لابن هشام: ما يقوم له شيء)، مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ (الذي لونه بين الغبرة والسواد، وسمي كذلك لما عليه من الغبار)، إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ ﷺ: **هَلُمَّ إِلَيَّ يَا بن مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ**، فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً، فَكَأَنَّمَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ (يقال هذا عند المبالغة في الإصابة، كذا قال الزرقاني على المواهب)، وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِي ثُنَّتِهِ، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، فَأَقْبَلَ نَحْوِي، فَغُلِبَ فَوَقَعَ، وَأَمْهَلْتُهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ جِئْتُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ تَنَحَّيْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَلَمْ تَكُنْ لِي بِشَيْءٍ حَاجَةٌ غَيْرُهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ قَالَ: خُرِجْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ، أَخُو بَنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَدْرَبْنَا مَعَ النَّاسِ (أي جزنا الدروب)، فَلَمَّا قَفَلْنَا مَرَرْنَا بِحِمْصَ ـ وَكَانَ وَحْشِيٌّ، مَوْلَى جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَدْ سَكَنَهَا، وَأَقَامَ بِهَا ـ فَلَمَّا قَدِمْنَاهَا، قَالَ لِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَدِيٍّ: **هَلْ لَكَ فِي أَنْ نَأْتِيَ وَحْشِيًّا فَنَسْأَلَهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ كَيْفَ قَتَلَهُ؟** قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ شِئْتَ، فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْهُ بِحِمْصَ، فَقَالَ لَنَا رَجُلٌ، وَنَحْنُ نَسْأَلُ عَنْهُ: إِنَّكُمَا سَتَجِدَانِهِ بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَهُوَ رَجُلٌ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْخَمْرُ، فَإِنْ تَجِدَاهُ صَاحِيًا تَجِدَا رَجُلًا عَرَبِيًّا، وَتَجِدَا عِنْدَهُ بَعْضَ مَا تُرِيدَانِ، وَتُصِيبَا عِنْدَهُ مَا شِئْتُمَا مِنْ حَدِيثٍ تَسْأَلَانِهِ عَنْهُ، وَإِنْ تَجِدَاهُ وَبَهْ بَعْضُ مَا يَكُونُ بِهِ، فَانْصَرَفَا عَنْهُ وَدَعَاهُ، قَالَ: فَخَرَجْنَا نَمْشِي حَتَّى جِئْنَاهُ، فَإِذَا هُوَ بِفِنَاءِ دَارِهِ عَلَى طَنْفَسَةٍ (مُثَلَّثَة الطَّاء وَالْفَاء، وبكسر الطَّاء وَفتح الْفَاء، وَبِالْعَكْسِ): وَاحِدَة الطنافس من الْبسط وَالثيَاب والحصير) لَهُ، فَإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ مِثْلُ الْبُغَاثِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْبُغَاثُ: ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ إِلَى السَّوَادِ.

فَإِذَا هُوَ صَاحٍ لَا بَأْسَ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ سَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: ابْنٌ لِعَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا وَاللهِ مَا رَأَيْتُكَ مُنْذُ نَاوَلْتُكَ أُمَّكَ السَّعْدِيَّةَ الَّتِي أَرْضَعَتْكَ بِذِي طُوًى (موضع بمكة)، فَإِنِّي نَاوَلْتُكهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرِهَا، فَأَخَذَتْكَ بِعُرْضَيْكَ [1]، فَلَمَعَتْ لِي قَدَمَاكَ حِينَ رَفَعْتُكَ إِلَيْهَا، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَقَفْتَ عَلَيَّ فَعَرَفْتُهُمَا.

---

(١) كَذَا فِي أَكثر الْأُصُول، قَالَ أَبُو ذَر: «أخذتك بعرضتك» من رَوَاهُ هَكَذَا، فالعرضة: الْجلد الّذي يكون فِيهِ الصبى إِذا أرضع، ويربى فِيهِ، وَمن رَوَاهُ «بعرصتك» بالصَّاد الْمُهْملَة، فَمَعْنَاه أَنه رَفعه إِلَيْهَا بِالثَّوْبِ الّذي كَانَ تَحْتَهُ، وَمِنْه عَرصَة الدَّار، وَهُوَ مَا يَقع عَلَيْهِ الْبناء، وَمن رَوَاهُ «بعرضيك» فَمَعْنَاه بجانبيك. وَعرض الشَّيْء (بِضَم الْعين): جَانِبه.

قَالَ: فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَقُلْنَا لَهُ: جِئْنَاكَ لِتُحَدِّثَنَا عَنْ قَتْلِكَ حَمْزَة، كَيفَ قَتَلْتَهُ؟

فَقَالَ: أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمَا كَمَا حَدَّثْتُ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ سَأَلَنِي عَنْ ذَلِكَ، كُنْتُ غُلَامًا لِجُبَيْرِ ابْنِ مُطْعِمٍ، وَكَانَ عَمُّهُ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَمَّا سَارَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أُحُدٍ، قَالَ لِي جُبَيْرٌ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ عَمَّ مُحَمَّدٍ بِعَمِّي فَأَنْتَ عَتِيقٌ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَبَشِيًّا أَقْذِفُ بِالْحَرْبَةِ قَذْفَ الْحَبَشَةِ، قَلَّمَا أُخْطِئُ بِهَا شَيْئًا، فَلَمَّا الْتَقَى النَّاسُ خَرَجْتُ انْظُرُ حَمْزَة وَأَتَبَصَّرُهُ، حَتَّى رَأَيْتُهُ فِي عُرْضِ النَّاسِ مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ، يَهُدُّ النَّاسَ بِسَيْفِهِ هَدًّا، مَا يَقُومُ لَهُ شَيْء، فَوَالله إِنِّي لَأَتَهَيَّأُ لَهُ، أُرِيدُهُ وَأَسْتَتِرُ مِنْهُ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ لِيَدْنُوَ مِنِّي إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، فَلَمَّا رَآهُ حَمْزَةُ قَالَ لَهُ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا بن مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ، قَالَ: فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً كَأَنَّ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ، قَالَ: وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي، حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا، دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِي ثُنَّتِهِ، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، وَذَهَبَ لِيَنُوءَ (ينهض متثاقلًا) نَحْوِي، فَغُلِبَ، وَتَرَكْتُهُ وَإِيَّاهَا حَتَّى مَاتَ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ، فَقَعَدْتُ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بِغَيْرِهِ حَاجَةٌ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ لِأُعْتَقَ، فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ أُعْتِقْتُ، ثُمَّ أَقَمْتُ حَتَّى إِذَا افْتَتَحَ رَسُولُ الله ﷺ مَكَّةَ هَرَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَمَكَثْتُ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجَ وَفْدُ الطَّائِفِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لِيُسْلِمُوا تَعَيَّتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ، فَقُلْتُ: أَلْحَقُ بِالشَّأْمِ، أَوْ الْيَمَنِ، أَوْ بِبَعْضِ الْبِلَادِ، فَوَالله إِنِّي لَفِي ذَلِكَ مِنْ هَمِّي، إِذْ قَالَ لِي رَجُلٌ: وَيْحَكَ! إِنَّهُ وَالله مَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ دَخَلَ فِي دِينِهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَتَهُ.

فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ الْمَدِينَةَ، فَلَمْ يَرُعْهُ إِلَّا بِي قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ أَتَشَهَّدُ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «**أَوَحْشِيٌّ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**اُقْعُدْ فَحَدِّثْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟**»، قَالَ: فَحَدَّثْتُهُ كَمَا حَدَّثْتُكُمَا، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ حَدِيثِي قَالَ: «**وَيْحَكَ! غَيِّبْ عَنِّي وَجْهَكَ، فَلَا أُرَيَنَّكَ**»، قَالَ: فَكُنْتُ أَتَنَكَّبُ رَسُولَ الله ﷺ حَيْثُ كَانَ لِئَلَّا يَرَانِي، حَتَّى قَبَضَهُ الله ﷺ.

فَلَمَّا خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ خَرَجْتُ مَعَهُمْ، وَأَخَذْتُ حَرْبَتِي الَّتِي قَتَلْتُ بِهَا حَمْزَةَ، فَلَمَّا الْتَقَى النَّاسُ رَأَيْتُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ قَائِمًا فِي يَدِهِ السَّيْفَ، وَمَا أَعْرِفُهُ، فَتَهَيَّأْتُ لَهُ، وَتَهَيَّأَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى، كِلَانَا يُرِيدُهُ، فَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِيهِ، وَشَدَّ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِيُّ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَرَبُّكَ أَعْلَمُ أَيُّنَا قَتَلَهُ، فَإِنْ كُنْتُ قَتَلْتُهُ، فَقَدْ قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ، وَقَدْ قَتَلْتُ شَرَّ النَّاسِ. **[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٩- ٧٣، وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣/ ١٤٧ رقم ٢٩٤٧، وقال الشيخ الصوياني: سنده صحيح. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٥٤]**.

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنهما، وَكَانَ قَدْ شَهِدَ الْيَمَامَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ يَوْمَئِذٍ صَارِخًا يَقُولُ: **قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ**».

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٧٣].

وعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ، قَالَ: أَقْبَلْنَا مِنَ الرُّومِ فَلَمَّا قَرُبْنَا مِنْ حِمْصَ قُلْنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِوَحْشِيٍّ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ، فَلَقِينَا رَجُلًا فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: هُوَ رَجُلٌ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْخَمْرُ، فَإِنْ أَدْرَكْتُمَاهُ وَهُوَ صَاحٍ لَمْ تَسْأَلَاهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَكُمَا، وَإِنْ أَدْرَكْتُمَاهُ شَارِبًا فَلَا تَسْأَلَاهُ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَدْ أُلْقِيَ لَهُ شَيْءٌ عَلَى بَابِهِ وَهُوَ جَالِسٌ صَاحٍ، فَقَالَ: **ابْنُ الْخِيَارِ؟** قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: **مَا رَأَيْتُكَ مُنْذُ حَمَلَتْكَ إِلَيَّ أُمُّكَ بِذِي طُوًى إِذْ وَضَعَتْكَ فَرَأَيْتُ قَدَمَيْكَ فَعَرَفْتُهُمَا**، قَالَ: قُلْتُ: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ، فَقَالَ: سَأُحَدِّثُكُمَا كَمَا حَدَّثْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ سَأَلَنِي، كُنْتُ عَبْدًا لِآلِ مُطْعِمٍ فَقَالَ لِي ابْنُ أَخِي مُطْعِمٍ: إِنْ أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ، فَانْطَلَقْتُ يَوْمَ أُحُدٍ مَعِي حَرْبَتِي وَأَنَا رَجُلٌ مِنَ الْحَبَشَةِ أَلْعَبُ بِهَا لَعِبَهُمْ، فَخَرَجْتُ يَوْمَئِذٍ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَ أَحَدًا وَلَا أُقَاتِلَهُ إِلَّا حَمْزَةَ، فَخَرَجْتُ فَإِذَا أَنَا بِحَمْزَةَ كَأَنَّهُ بَعِيرٌ أَوْرَقُ، مَا يَرْفَعُ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا قَمَعَهُ بِالسَّيْفِ، فَهِبْتُهُ، وَبَادَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ سِبَاعٍ، فَسَمِعْتُ حَمْزَةَ يَقُولُ: **إِلَيَّ يَا ابْنَ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ**، فَشَدَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، وَجَعَلْتُ أَلُوذُ مِنْهُ، فَلُذْتُ بِشَجَرَةٍ وَمَعِي حَرْبَتِي، حَتَّى إِذَا اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ هَزَزْتُ الْحَرْبَةَ حَتَّى رَضِيتُ مِنْهَا، ثُمَّ أَرْسَلْتُهَا فَوَقَعَتْ بَيْنَ ثُنْدُوَتَيْهِ، وَذَهَبَ لِيَقُومَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ أَخَذْتُ حَرْبَتِي مَا قَتَلْتُ أَحَدًا وَلَا قَاتَلْتُهُ، فَلَمَّا جِئْتُهُ عُتِقْتُ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرَدْتُ الْهَرَبَ مِنْهُ أُرِيدُ الشَّامَ، فَأَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ: **وَيْحَكَ يَا وَحْشِيُّ وَاللهِ مَا يَأْتِي مُحَمَّدًا أَحَدٌ فَيَشْهَدُ بِشَهَادَتِهِ إِلَّا خَلَّى عَنْهُ**، فَانْطَلَقْتُ فَمَا شَعَرَ بِي إِلَّا وَأَنَا قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ أَشْهَدُ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ، فَقَالَ: «**أَوَحْشِيٌّ؟**» قُلْتُ: **نَعَمْ وَحْشِيٌّ**، قَالَ: «**وَيْحَكَ حَدِّثْنِي عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ**» فَأَنْشَأْتُ أُحَدِّثُهُ كَمَا حَدَّثْتُكُمَا، فَقَالَ: «**وَيْحَكَ يَا وَحْشِيُّ غَيِّبْ عَنِّي وَجْهَكَ فَلَا أَرَاكَ**»، فَكُنْتُ أَتَّقِي أَنْ يَرَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ مُسَيْلِمَةَ مَا كَانَ، وَانْبَعَثَ إِلَيْهِ الْبَعْثُ انْبَعَثْتُ مَعَهُ وَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، فَالْتَقَيْنَا فَبَادَرْتُهُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَرَبُّكَ أَعْلَمُ أَيُّنَا قَتَلَهُ، فَإِنْ كُنْتُ قَتَلْتُهُ فَقَدْ قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ وَشَرَّ النَّاسِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: كُنْتُ فِي الْجَيْشِ يَوْمَئِذٍ فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ فِي مُسَيْلِمَةَ: **قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ**.

[مسند أبي داود الطيالسي ٢/ ٦٥١-٦٥٢ رقم ١٤١٠، والسنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١٦٥-١٦٦ رقم ١٨١٨٨، وقال البيهقي: لفظ حديث أبي داود، وحديث حجين بمعناه يزيد وينقص، لم يذكر حديث الشرب ولا قوله: «إن كنت قتلته»، وقد أخرجه البخاري في الصحيح عن أبي جعفر محمد بن عبد الله، عن حجين بن المثنى].

وعَنْ وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «**وَحْشِيٌّ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَقَتَلْتَ حَمْزَةَ؟**»، قُلْتُ: **نَعَمْ، وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَكْرَمَهُ بِيَدِي وَلَمْ يُهِنِّي بِيَدَيْهِ**، فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: **أَتُحِبُّهُ وَهُوَ قَاتَلَ حَمْزَةَ؟**، فَقُلْتُ: **يَا رَسُولَ اللهِ، فَاسْتَغْفِرْ لِي**، فَتَفَلَ فِي الْأَرْضِ ثَلَاثَةً، وَدَفَعَ فِي صَدْرِي ثَلَاثَةً، وَقَالَ: «**يَا وَحْشِيُّ، اخْرُجْ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَا قَاتَلْتَ لِتَصُدَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**».

[مجمع الزوائد ٦/ ١٧٥ رقم ١٠١١٢، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٢٢/ ١٣٩ رقم ٣٧٠، والأوسط رقم ١٨٢١ أيضاً بنحوه]، وإسناده حسن. قلت: وله طريق أتم من هذه في مناقب وحشي].

رجل يُعد بالآلاف:

«وهكذا فقد المسلمون ـ بمصرع حمزة بن عبد المطلب ﷺ ـ رجلًا يُعَدُّ بالآلاف، فقد كان ﷺ من أكبر سواعد النبي ﷺ في الملاحم، كان في أُحُدٍ ـ كيوم بدر ـ نجم المعركة اللامع.

كان المشركون موتورين من حمزة ﷺ، وكانت قلوبهم تغلي حقدًا عليه؛ لأنه صرع الأحبة من فرسانهم يوم بدر، وكان الذين وترهم حمزة ﷺ يوم بدر في ذويهم يودون قتله انتقامًا.

ولكنهم جميعًا يدركون أن مواجهة حمزة ﷺ ليس بالأمر الهين، فشهرته الحربية واستفاضة ضراوته في القتال جعلت فرائص أعظم الأبطال ترتعد لمجرد التفكير في ملاقاة هذا البطل.

ولهذا لجأ الموتورون من حمزة ﷺ إلى طريق الاغتيال، فتم الاتفاق ـ كما تقدم ـ بين جُبير بن مطعم ومولاه وحشي على عتقه مقابل أن يقتل حمزة ﷺ.

ونُفذت خطة الاغتيال الدنيئة». [غزوة أُحد لباشميل ١٠٩].

«لقد كان حمزة ﷺ عم النبي ﷺ وأخاه من الرضاعة، وكان فوق ذلك كله رجلًا يُعد بالآلاف في المعارك، وكان مثلًا عاليًا للشهامة والنجدة والنبل، وكان عضد رسول الله ﷺ عندما يستعر لهيب الحرب، فكان الإسلام ـ يوم مقتل حمزة ﷺ ـ في أمس الحاجة إلى أمثاله من القادة الشجعان؛ لأن الأخطار العسكرية كانت تكتنف الدعوة الإسلامية الناشئة من كل جانب.

فكان مصرع حمزة ﷺ ـ بحق ـ يوم ذاك خسارة عسكرية فادحة بالنسبة للمسلمين، ولم ينل رسول الله ﷺ مثل ما ناله يوم وقف على جثمان عمه البطل الشهيد حمزة ﷺ». [غزوة أُحد لباشميل ١٨٩].

لقد «صُرع حمزة ﷺ، لا كما تُصرع الأبطال وجهًا لوجه في ميدان القتال، وإنما كما يُغتال الكرام في حلك الظلام، وهل كان أحد من شجعان العرب جميعًا يحسب نفسه كفؤًا لحمزة ﷺ ونزاله؟

وهل كان يظن أحد أن يطالع الموت حمزة ﷺ في معركة على طول ما مشى بين صفوف الموت مختالًا، ولكن ما عسى أن تُغني الشجاعة والنبل حين يختبئ الاغتيال في حندس الليل فيورد صاحبها حتفه».

[في منزل الوحي لهيكل ٥٥٧].

«ونام حمزة بن عبد المطلب ﷺ في رقدته الأبدية عَلَمًا على الشهداء، وانتهت صولة الأسد، وخفقت أصداء تلك الأصوات التي كان يلقيها مملوءة بآيات التوحيد، فتَفزع أمامه الجَحاجِحُ (الجَحْجَاحُ بالفتح السيد والجمع الجَحاجِحُ)، وتنهار أمام عينيه حجب الزمان والمكان.

لقد استشهد وزير رسول الله ﷺ وحبيبه، وبكاه إمام المرسلين، فبكته السماء مرددة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران]. [شهداء الصحابة ﷺ في صدر الإسلام لعبد الوهاب ٧٣].

دعوة الرسول ﷺ وحشي إلى الإسلام:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حَمْزَةَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: **يَا مُحَمَّدُ، كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَى دِينِكَ، وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ مَنْ قَتَلَ أَوْ أَشْرَكَ أَوْ زَنَا يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا، وَأَنَا قَدْ صَنَعْتُ ذَلِكَ؟ فَهَلْ تَجِدُ لِي مِنْ رُخْصَةٍ؟** فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان]، فَقَالَ وَحْشِيٌّ: **يَا مُحَمَّدُ، هَذَا شَرْطٌ شَدِيدٌ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، فَلَعَلِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى هَذَا،** فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء]، فَقَالَ وَحْشِيٌّ: **يَا مُحَمَّدُ أَرَى بَعْدَ مشيئةٍ فَلَا أَدْرِي يُغْفَرُ لِي أَمْ لَا فَهَلْ غَيْرُ هَذَا؟** فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر]، قَالَ وَحْشِيٌّ: **هَذَا نَعَمْ،** فَجَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّاسُ: **يَا رَسُولَ الله، إِذَا أَصَبْنَا مَا أَصَابَ وَحْشِيٌّ،** قَالَ: «**هِيَ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً**». [مجمع الزوائد كتاب التفسير ٧/ ٢٤ رقم ١١٣١٤، وكتاب التوبة ١٠/ ٣٦١ رقم ١٧٦٢٤، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١١/ ١٩٧ رقم ١١٤٨٠]، وفيه أبين بن سفيان ضعفه الذهبي].

وعَنْ سَعِيدٍ، قَالَ: نَزَلَتْ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] فِي وَحْشِيٍّ وَأَصْحَابِهِ، قَالُوا: كَيْفَ لَنَا بِالتَّوْبَةِ وَقَدْ عَبَدْنَا الْأَوْثَانَ، وَقَتَلْنَا الْمُؤْمِنِينَ، وَنَكَحْنَا الْمُشْرِكَاتِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان]، فَأَبْدَلَهُمُ اللهُ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ عِبَادَةَ الله، وَأَبْدَلَهُمُ بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَبْدَلَهُمْ بِنِكَاحِ الْمُشْرِكَاتِ نِكَاحَ الْمُؤْمِنَاتِ. [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ٤/ ٢٨٤-٢٨٥].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ وَحْشِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: **يَا مُحَمَّدُ جِئْتُكَ مُسْتَجِيرًا بِكَ،** فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَدْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَاكَ عَلَى غَيْرِ جِوَارٍ، فَأَمَا إِذَا كُنْتُ مُسْتَجِيرًا فَأَنْتَ فِي جِوَارِي حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ الله تَعَالَى**»، قَالَ: **فَإِنِّي أَشْرَكْتُ بِالله الْعَظِيمِ، وَقَتَلْتُ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ، فَهَلْ تُقْبَلُ مِنْ مِثْلِي تَوْبَةٌ؟**، فَصَمَتَ رَسُولُ الله ﷺ فَلَمْ يُجِبْهُ حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠] الْآيَةَ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: **أَرَى شَرْطًا، فَلَعَلِّي لَا أَعْمَلُ صَالِحًا، أَنَا فِي جِوَارِكَ حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَ الله،** فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فَدَعَاهُ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ وَحْشِيٌّ: **فَلَعَلِّي مِمَّنْ لَا يَشَاءُ اللهُ، أَنَا فِي جِوَارِكَ حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَ الله،** قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر]، قَالَ وَحْشِيٌّ: **الْآنَ لَا أَرَى شَرْطًا،** فَتَشَهَّدَ وَأَسْلَمَ. [شعب الإيمان للبيهقي ٩/ ٣٤٢ رقم ٦٧٣٨، وقال محققه: إسناده لا بأس به].

السيطرة على الموقف:

«وبالرغم من الخسارة الفادحة التي نزلت بالمسلمين، بمصرع الأسد حمزة ﷺ فإن قواتهم ظلت مسيطرة على الموقف، فلم يتراخوا ولم يحدث أي انحسار في مد الانتصار الذي سجلوه على جيش مكة.

لاسيما أن مصرع حمزة ﷺ لم يكتشفه المسلمون إلا بعد انتهاء المعركة، التي فقد المسلمون فيها كثيرًا من أبطالهم؛ ولأن قتل حمزة لم يكن إلا غيلة في غمرة النصر والمسلمون يطاردون العدو المنهزم».

[غزوة أُحد لباشميل ١٠٩].

الفارس ذو العصابة:

«أما أبو دجانة ﷺ، وهو الركن الثاني من أركان المعركة، والذي أبى الرسول ﷺ أن يعطي سيفه لأحد سواه عندما عرضه على أصحابه قبل المعركة، فقد أبلى بلاء عظيمًا، فكان يوم أُحد لا يقوم له أحد، وقد كان لبسالته أثر عظيم في اندحار المشركين في الصفحة الأولى من المعركة». [غزوة أُحد لباشميل ١١٠].

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلمِ أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ ﷺ قَالَ: وَجِدْتُ فِي نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ السَّيْفَ فَمَنَعَنِيهِ وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ، وَقُلْتُ: أَنَا ابْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ، وَمِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ قُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ قَبْلَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَتَرَكَنِي، وَاللهِ لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حَمْرَاءَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ فَقَالَتْ الأَنْصَارُ: أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ المَوْتِ، وَهَكَذَا كَانَتْ تَقُولُ لَهُ إِذَا تَعَصَّبَ بِهَا، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَــا الَّــذِي عَاهَــدَنِي خَلِــيلِي ... وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَلَّا أَقُــومَ الــدَّهْرَ فِي الكَيُّــولِ[1] ... أَضْرِبْ بِسَيْفِ اللهِ وَالرَّسُولِ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُرْوَى فِي الكُبُولِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَجَعَلَ لَا يَلقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ.

وَكَانَ فِي المُشْرِكِينَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَنَا جَرِيحًا إِلَّا ذَفَّفَ عَلَيْهِ فَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْنُو مِنْ صَاحِبِهِ، فَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَالتَقَيَا، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرَبَ المُشْرِكُ أَبَا دُجَانَةَ فَاتَّقَاهُ بِدَرَقَتِهِ فَعَضَّتْ بِسَيْفِهِ، وَضَرَبَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ قَدْ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ، ثُمَّ عَدَلَ السَّيْفَ عَنْهَا.

قَالَ الزُّبَيْرُ: فَقُلْتُ: **اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٨-٦٩].

قال الواقدي: «قَالَ كَعْبٌ: وَإِذَا رَجُلٌ مِنْ المُشْرِكِينَ جَامِعُ اللأْمَةِ يَصِيحُ: اسْتَوْسِقُوا كَمَا يُسْتَوْسَقُ جُرْبُ الغَنَمِ، وَإِذَا رَجُلٌ مِنْ المُسْلِمِينَ عَلَيْهِ لأْمَتُهُ، فَمَشَيْت حَتَّى كُنْتُ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ قُمْتُ أُقَدِّرُ المُسْلِمَ وَالكَافِرَ بِبَصَرِي، فَإِذَا الكَافِرُ أَكْثَرُهُمَا عُدَّةً وَأُهْبَةً، فَلَمْ أَزَل أَنْظُرُهُمَا حَتَّى التَقَيَا، فَضَرَبَ المُسْلِمُ الكَافِرَ

(١) **الكَيُّول**: آخر الصفوف في الحرب.

عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ بِالسَّيْفِ فَمَضَى السَّيْفُ حَتَّى بَلَغَ وَرِكَيْهِ وَتَفَرَّقَ الْمُشْرِكُ فِرْقَتَيْنِ، وَكَشَفَ الْمُسْلِمُ عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ: كَيْفَ تَرَى يَا كَعْبُ؟ أَنَا أَبُو دُجَانَةَ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٦٠-٢٦١، البداية والنهاية ٤/ ٢٠].

فاختيار النبي ﷺ أبا دجانة وإعطاؤه السيف من بين جميع أصحابه، يدل على خبرته بالرجال ومعرفته كيف يختار الأكفاء في المواطن الحرجة، والساعات الدقيقة من المعارك الفاصلة.

كاد أبو دجانة ﷺ يقتل هند بنت عتبة:

«ومن عجائب القدر أن أبا دجانة هذا كاد يقتل تلك المرأة العنيدة هند بنت عتبة زوج القائد العام لجيش مكة التي حضرت لتحريض الناس على سفك الدماء، فقد التقى بها أبو دجانة، وهي بلباس الميدان كالرجال وكاد يفلق رأسها بالسيف، لولا أن أدركتها أنوثتها فولولت عندما أحست بالموت يقترب منها.

وكان أبو دجانة ﷺ قد تحدث بهذا فيما تحدث به من أخبار أُحد.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ ﷺ: رَأَيْتُ إِنْسَانًا يَخْمُشُ النَّاسَ خَمْشًا شَدِيدًا (أي يحرضهم على القتال)، فَصَمَدْتُ لَهُ، فَلَمَّا حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ وَلْوَلَ (أي صاح فزعًا)، فَإِذَا امْرَأَةٌ، فَأَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً».

وقال الزبير بن العوام ﷺ: ثُمَّ رَأَيْتُهُ قَدْ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ، ثُمَّ عَدَلَ السَّيْفَ عَنْهَا. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٩].

وعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ قَالَ: عَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ**»، فَقَامَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ ﷺ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: **أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ فَمَا حَقُّهُ؟** قَالَ: فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَخَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَفْرَاهُ (شقه وفتته)، وَهَتَكَهُ (أزاله من موضعه أو شق جزءًا منه فبدا ما وراءه)، حَتَّى أَتَى نِسْوَةً فِي سَفْحِ جَبَلٍ، وَمَعَهُمْ هِنْدُ وَهِيَ تَقُولُ:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ ... نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ (١)
وَالْمِسْكُ فِي الْمَفَارِقْ ... إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ ... فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ (٢)

قَالَ: فَحَمَلَ عَلَيْهَا، فَنَادَتْ: يَا آلَ صَخْرٍ، فَلَمْ يُجِبْهَا أَحَدٌ، فَانْصَرَفَ، فَقُلْتُ لَهُ: **كُلُّ صَنِيعِكَ قَدْ رَأَيْتُهُ فَأَعْجَبَنِي غَيْرَ أَنَّكَ لَمْ تَقْتُلِ الْمَرْأَةَ**، قَالَ: **إِنَّهَا نَادَتْ فَلَمْ يُجِبْهَا أَحَدٌ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَضْرِبَ بِسَيْفِ رَسُولِ اللهِ ﷺ امْرَأَةً لَا نَاصِرَ لَهَا**. [مجمع الزوائد ٦/ ١٥٦ كتاب المغازي والسير (١٠٠٦٩)، وقال الهيثمي: رواه البزار [مسند البزار ٣/ ١٩٣ رقم ٩٧٩] ورجاله ثقات].

---

(١) **النمارق**: جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة.

(٢) **الوامق**: المحب.

كاد حنظلة ﷺ يقتل القائد العام للمشركين:

وقد كاد البطل حنظلة ﷺ يقتل أبا سفيان قائد عام جيش المشركين.

عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى بَعْضُهُمْ إِلَى دُونِ الْأَعْرَاضِ (أعراض المدينة: قال الأصمعي: هي قراها التي في أوديتها، وقال شمر: هي بطون سوادها حيث الزرع والنخل) عَلَى جَبَلٍ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ كَانَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ [الغَسِيلُ] الْتَقَى هُوَ وَأَبُو سفيان بن حرب، فَلَمَّا اسْتَعْلَاهُ حَنْظَلَةُ رَآهُ شَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ [وَهُوَ ابْنُ شَعُوبٍ]، فَعَلَاهُ شَدَّادٌ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ، وَقَدْ كَادَ يَقْتُلُ أَبَا سُفْيَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ حَنْظَلَةَ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَسَلُوا صَاحِبَتَهُ**»، [فَسُئِلَتْ صَاحِبَتُهُ عَنْهُ] فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ لَـمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ (قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: الهَائِعَةُ وَالهَيْعَةُ: الصَّيْحَةُ التِي فِيهَا الفَزَعُ)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَذَاكَ [فَلِذَلِكَ] قَدْ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**».

[صحيح ابن حبان ١٥/ ٤٩٥ رقم ٧٠٢٥، وقال الشيخ الأرناؤوط: حديث صحيح، رجاله ثقات، وابن إسحاق قد صرح بالتحديث، والمستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢٢٥ رقم ٤٩١٧ ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي في التلخيص. السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٧٦. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٨٠، صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢١٤].

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ أَنَّهُ الْتَقَى هُوَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَلَمَّا اسْتَعْلَاهُ حَنْظَلَةُ رَآهُ شَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ شَعُوبٍ، قَدْ عَلَا أَبَا سُفْيَانَ فَضَرَبَهُ شَدَّادٌ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ ـ يَعْنِي حَنْظَلَةَ ـ لَتُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَسَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ؟**»، فَسُئِلَتْ صَاحِبَتُهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الْهَائِعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**».

قَالَ الْإِمَامُ: قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ الْهَائِعَةُ وَالْهَيْعَةُ صَوْتُ الْقِتَالِ. **[دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني ص ١١٠ رقم ١٠٩، وقال الشيخ الصوياني: سنده قوي. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٨٠].**

قال الواقدي: «فَلـمَّا انْكَشَفَ الْمُشْرِكُونَ اعْتَرَضَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ ﷺ لأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَضَرَبَ عُرْقُوبَ فَرَسِهِ فَاكْتَسَعَتْ الفَرَسُ، وَيَقَعُ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى الأَرْضِ، فَجَعَلَ يَصِيحُ: **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَنَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ**، وَحَنْظَلَةُ يُرِيدُ ذَبْحَهُ بِالسَّيْفِ، فَأَسْمَعَ الصَّوْتُ رِجَالًا لا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ مِنْ الهَزِيمَةِ حَتَّى عَايَنَهُ **الأَسْوَدُ بْنُ شَعُوبَ** [(١)]، فَحَمَلَ عَلَى حَنْظَلَةَ بِالرُّمْحِ فَأَنْفَذَهُ، فَمَشَى حَنْظَلَةُ إِلَيْهِ بِالرُّمْحِ وَقَدْ أَثْبَتَهُ، ثُمَّ ضَرَبَهُ الثَّانِيَةَ فَقَتَلَهُ.

---

(١) في ابن هشام: شداد بن الأسود، وقال السهيلي في الروض: إن الذي قتل حنظلة جعونةُ بن شعوب الليثي مولى نافع بن أبي نافع.

وَهَرَبَ أَبُو سُفْيَانَ يَعْدُو عَلَى قَدَمَيْهِ فَلَحِقَ بِبَعْضِ قُرَيْشٍ، فَنَزَلَ عَنْ صَدْرِ فَرَسِهِ، وَرَدِفَ وَرَاءَ أَبِي سُفْيَانَ ـ فَذَلِكَ قَوْلُ أَبِي سُفْيَانَ». [المغازي للواقدي١/ ٢٧٣-٢٧٤].

مُنقذ أبي سفيان:

وكان ابن شعوب الذي أنقذ أبا سفيان من سيف حنظلة، يمن دائمًا على أبي سفيان ويذكره بفضله عليه، ومن هذا المن ذلك الشعر الذي سار مع الركبان، والذي قاله ابن شعوب يذكر أبا سفيان ليعرف فضله عليه يوم أنقذه من سيف حنظلة البطل.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ شَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ فِي قَتْلِهِ حَنْظَلَةَ ﷺ:

لأَحْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي ... وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ

وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَهُوَ يَذْكُرُ صَبْرَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمُعَاوَنَةَ ابْنِ شَعُوبٍ إِيَّاهُ عَلَى حَنْظَلَةَ:

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِي كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ ... وَلَمْ أَحْمِلِ النَّعْمَاءَ لابْنِ شَعُوبِ (١)

وَمَا زَالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمُ ... لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى دَنَتْ لِغُرُوبِ (٢)

أُقَاتِلُهُمْ وَأَدْعِي يَا لَغَالِبٍ ... وَأَدْفَعُهُمْ عَنِّي بِرُكْنٍ صَلِيبِ

فَبَكِّي وَلَا تَرْعَى مَقَالَةَ عَاذِلٍ ... وَلَا تَسْأَمِي مِنْ عَبْرَةٍ وَنَحِيبِ

أَبَاكِ وَإِخْوَانًا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا ... وَحُقَّ لَهُمْ مِنْ عَبْرَةٍ بِنَصِيبِ

وَسَلِّ الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنَّنِي ... قَتَلْتُ مِنَ النَّجَّارِ كُلَّ نَجِيبِ

وَمِنْ هَاشِمٍ قَرْمًا كَرِيمًا وَمُصْعَبًا ... وَكَانَ لَدَى الهَيْجَاءِ غَيْرُ هَيُوبِ (٣)

وَلَوْ أَنَّنِي لَمْ أَشْفِ نَفْسِي مِنْهُمُ ... لَكَانَتْ شَجًا فِي الْقَلْبِ ذَاتَ نُدُوبِ (٤)

فَآبُوا وَقَدْ أَوْدَى الجَلَابِيبُ مِنْهُمُ ... بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُعْطِبٍ وَكَئِيبِ (٥)

أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ ... كِفَاءً وَلَا فِي خُطَّةٍ بِضَرِيبِ (٦)

---

(١) **الكميت من الخيل**: يستوي فيه المذكر والمؤنث، وهو ما كان لونه بين السواد والحمرة. **الطمرة**: الفرس السريعة الوثب.

(٢) **مزجر الكلب**: يريد أنه لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذي يزجر الكلب فيه. **دنت لغروب**: أي الشمس، وقد أضمرها ولم يتقدم لها ذكر؛ لأن الغدوة دلت عليها.

(٣) **القرم**: الفحل الكريم من الإبل، ويريد هنا حمزة ﷺ. **الهيجاء**: الحرب.

(٤) **الشجا**: الحزن. **الندوب**: آثار الجروح، الواحد: ندب.

(٥) **الجلابيب**: جمع جلباب، وهو (ها هنا): الإزار الخشن، وكان مشركو أهل مكة يسمون مَنْ أسلم مع رسول الله ﷺ: الجلابيب، يلقبونهم بذلك. **أودى**: هلك. **الخدب**: الطعن النافذ إلى الجوف. **المعطب**: هو الذي يسل دمه. **الكئيب**: الحزين، ويروى: كبيب، أي قد كُب على وجهه.

(٦) **الخطة** (هنا): الخصلة الرفيعة . **الضريب**: الشبيه.

فَأَجَابَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ، فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ:

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... وَلَسْتَ لِزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبِ
أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حَمْزَةَ مِنْهُمْ ... نَجِيبًا وَقَدْ سَمَّيْتَهُ بِنَجِيبِ (١)
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ ... وَشَيْبَةَ وَالْحَجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبِ
غَدَاةَ دَعَا الْعَاصِي عَلِيًّا فَرَاعَهُ ... بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلَّهُ بِخَضِيبِ (٢)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ ابْنُ شَعُوبٍ يَذْكُرُ يَدَهُ عِنْدَ أَبِي سُفْيَانَ فِيمَا دَفَعَ عَنْهُ فَقَالَ:

وَلَولا دِفَاعِي يَا ابْنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي ... لأَلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ غَيْرَ مُجِيبِ (٣)
وَلَولا مَكَرِّي الْمُهْرَ بِالنَّعْفِ قَرْقَرَتْ ... عَلَيْهِ ضِبَاعٌ أَوْ ضِرَاءُ كَلِيبِ (٤)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَوْلُهُ «عَلَيْهِ أَوْ ضِرَاءُ» عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ يُجِيبُ أَبَا سُفْيَانَ:

جَزَيْتُهُمْ يَوْمًا بِبَدْرٍ كَمِثْلِهِ ... عَلَى سَابِحٍ ذِي مَيْعَةٍ وَشَبِيبِ (٥)
لَدَى صَحْنِ بَدْرٍ أَوْ أَقَمْتَ نَوَائِحًا ... عَلَيْكَ وَلَمْ تَحْفِلْ مُصَابَ حَبِيبِ
وَإِنَّكَ لَوْ عَايَنْتَ مَا كَانَ مِنْهُمْ ... لأُبْتَ بِقَلْبٍ مَا بَقِيتُ نَخِيبُ (٦)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَإِنَّمَا أَجَابَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ أَبَا سُفْيَانَ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ عَرَّضَ بِهِ فِي قَوْلِهِ:

وَمَا زَالَ مُهْرِيٌّ مَزْجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمُ

لِفِرَارِ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٧٥-٧٦].

استشهاد ذَكْوَان بْن عَبْدِ قَيْس ﷺ:

قال الواقدي: «وَقَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: «**مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِذَكْوَانِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ؟**» قَالَ عَلِيٌّ ﷺ: أَنَا رَأَيْتُ يَا رَسُولَ اللهِ فَارِسًا يَرْكُضُ فِي أَثَرِهِ حَتَّى لَحِقَهُ وَهُوَ يَقُولُ: لا نَجَوْتُ إِنْ نَجَوْتَ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ بِفَرَسِهِ وَذَكْوَانُ رَاجِلٌ فَضَرَبَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ عِلاجٍ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ فَارِسٌ،

---

(١) **أقصده**: رماه فأصابه.

(٢) **العضب**: السيف القاطع. **بخضيب**: أي خضيب بدم.

(٣) **النَّعْفِ**: ما انحدر من حزونة الجبل.

(٤) **قرقرت ضباع**: أي أسرعت وخفَّت لأكله . **الضراء**: الضاربة المتعوِّدة للصيد أو لأكل لحوم الناس. **كليب**: اسم لجماعة الكلاب.

(٥) **السابح**: الفرس الذي كأنه يسبح في جريه. **الميعة**: الخفة والنشاط. **شبيب**: أي شباب، وهو أن يرفع الفرس يديه جميعًا، ويروى (سبيب) بالسين بالمهملة: شعر ناصية الفرس.

(٦) **أبت**: رجعت. **النخيب**: الجبان الفزع.

فَضَرَبْتُ رِجْلَهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَطَعْتُهَا عَنْ نِصْفِ الفَخِذِ، ثُمَّ طَرَحْتُهُ مِنْ فَرَسِهِ فَذَفَفْتُ عَلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ أَبُو الحَكَمِ بْنُ الأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقِ بْنِ عِلاجِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثَّقَفي». [المغازي للواقدي ١/ ٢٨٣].

الأعرج الشهيد عَمْرُو بْنُ الجمُوح ﷺ:

قَالَ طَلْحَةُ بْنَ خِرَاشٍ: سَمِعْتُ جَابِرًا، يَقُولُ: جَاءَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ ﷺ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله، مَنْ قُتِلَ الْيَوْمَ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟** قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: **فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَدْخُلَ الْجَنَّةَ**، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: **يَا عَمْرُو، لَا تَأَلَّ عَلَى الله**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَهْلًا يَا عُمَرُ، فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ: مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ، يَخُوضُ فِي الجَنَّةِ بِعَرْجَتِهِ**».

[الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٥/ ٤٩٣-٤٩٤ رقم ٧٠٢٤ كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ﷺ، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده جيد، والتعليقات الحسان على صحيح ابن حبان للألباني ١٠/ ١٣٦ رقم ٦٩٨٥، وقال الشيخ الألباني: حسن].

وعَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ شَيْخٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَعْرَجَ ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَدْرٍ قَالَ لِبَنِيهِ: **أَخْرِجُونِي**، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ عَرَجُهُ، وَحَالُهُ، فَأَذِنَ لَهُ فِي الْمُقَامِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ خَرَجَ النَّاسُ، فَقَالَ لِبَنِيهِ: **أَخْرِجُونِي**، فَقَالُوا: **قَدْ رَخَّصَ لَكَ رَسُولُ الله ﷺ، وَأَذِنَ**، قَالَ: **هَيْهَاتَ مَنَعْتُمُونِي الجَنَّةَ بِبَدْرٍ وَتَمْنَعُونِيهَا بِأُحُدٍ** ، فَخَرَجَ ، فَلَمَّا الْتَقَى النَّاسُ، قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: **أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ الْيَوْمَ أَطَأُ بِعَرَجَتِي هَذِهِ الجَنَّةَ؟** قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: **فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لَأَطَأَنَّ بِهَا الجَنَّةَ الْيَوْمَ إِنْ شَاءَ الله**، فَقَالَ لِغُلَامٍ لَهُ كَانَ مَعَهُ يُقَالُ لَهُ سُلَيْمٌ: **ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ**، قَالَ: **وَمَا عَلَيْكَ أَنْ أُصِيبَ الْيَوْمَ خَيْرًا مَعَكَ؟** قَالَ: «**فَتَقَدَّمْ إِذًا**»، قَالَ: فَتَقَدَّمَ الْعَبْدُ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ، وَقَاتَلَ هُوَ حَتَّى قُتِلَ.

[الجهاد لابن المبارك ص ٦٩ رقم ٧٨، وقال الشيخ الصوياني: هذا السند مرسل، عكرمة ﷺ لم يذكر من هو شيخه، لكن الحديث قوي بما بعده من شواهد. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٤١].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْجَمُوحِ ﷺ، كَانَ رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ مِثْلَ الْأُسْدِ، يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ الْمَشَاهِدَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ، وَقَالُوا لَهُ: **إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ عَذَرَكَ، [جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً، فَلَوْ قَعَدْتَ وَنَحْنُ نَكْفِيكَ، وَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ]**، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: **إِنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَالخُرُوجِ مَعَك فِيهِ، فو الله إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ [أُسْتَشْهَدَ] فَأَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الجَنَّةِ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ، [وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ]**، وَقَالَ لِبَنِيهِ: «**مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ**»، فَخَرَجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ [شَهِيدًا].

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٩٠-٩١، وزاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٩٢، وقال الشيخ الصوياني: رواه من طريقه البيهقي في الكبرى ٩/ ٢٤، هذا السند: صحيح إن كان هؤلاء الأشياخ من الصحابة، وإلا فهو مرسل ووالد ابن إسحاق ثقة وله رواية عن بعض الصحابة، وللحديث يأتي بعده. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص٢٤٢].

وعَنْ إِسْرَائِيلَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَسْرُوقٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُسْلِمُ بْنُ صُبَيْحٍ قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ لِبَنِيهِ: مَنَعْتُمُونِي الْجَنَّةَ بِبَدْرٍ، وَاللهِ، لَئِنْ بَقِيتُ... فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ، فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: أَنْتَ الْقَائِلُ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ قَالَ عُمَرُ: لَمْ يَكُنْ لِي هَمٌّ غَيْرَهُ، فَطَلَبْتُهُ، فَإِذَا هُوَ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ». [الجهاد لابن المبارك ص ٧٤ رقم ٨٦، وقال الشيخ الصوياني: حسن، هذا السند: مرسل، مسلم بن صبيح تابعي لم يدرك هذا الحدث لكن للحديث شاهد يأتي بعده. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص٢٤٢].

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ: أَتَى عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الجَنَّةِ؟**، وَكَانَتْ رِجْلُهُ عَرْجَاءَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**»، فَقُتِلُوا يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلًى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الجَنَّةِ**»، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجُعِلُوا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.

[مسند أحمد ٣٧/ ٢٤٧ رقم ٢٢٥٥٣، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن. مجمع الزوائد في المناقب ٩/ ٥٢٣ رقم ١٥٧٤٦، وقال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري، وهو ثقة].

وقال الواقدي: «وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ ﷺ رَجُلًا أَعْرَجَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ ـ وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ يَشْهَدُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ المَشَاهِدَ أَمْثَالَ الأَسَدِ ـ أَرَادَ بَنُوهُ أَنْ يَحْبِسُوهُ وَقَالُوا: **أَنْتَ رَجُلٌ أَعْرَجُ وَلا حَرَجَ عَلَيْكَ، وَقَدْ ذَهَبَ بَنُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ**.

قَالَ: **بَخٍ يَذْهَبُونَ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَجْلِسُ أَنَا عِنْدَكُمْ**، فَقَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ امْرَأَتُهُ: **كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُوَلِّيًا، قَدْ أَخَذَ دَرَقَتَهُ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ لا تَرُدَّنِي إِلَى أَهْلِي خِزْيًا!** فَخَرَجَ وَلَحِقَهُ بَنُوهُ يُكَلِّمُونَهُ فِي القُعُودِ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الوَجْهِ وَالخُرُوجِ مَعَكَ، وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ الجَنَّةَ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ تَعَالَى وَلا جِهَادَ عَلَيْكَ**»، فَأَبَى، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِبَنِيهِ: «**لا عَلَيْكُمْ أَنْ تَمْنَعُوهُ لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ**»، فَخَلَّوْا عَنْهُ، فَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ شَهِيدًا.

فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: نَظَرْتُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ حِينَ انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، ثُمَّ ثَابُوا وَهُوَ فِي الرَّعِيلِ الأَوَّلِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلَعِهِ فِي رِجْلِهِ يَقُولُ: **أَنَا وَاللهِ مُشْتَاقٌ إِلَى الجَنَّةِ**، ثُمَّ أَنْظُرُ إِلَى ابْنِهِ يَعْدُو فِي أَثَرِهِ حَتَّى قُتِلا جَمِيعًا». [المغازي للواقدي ١/ ٢٦٤-٢٦٥].

قَالَ أَبُو غَسَّانَ: قَالَ الْوَاقِدِيُّ: مَعَ عَمْرٍو فِي الْقَبْرِ خَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُ بْنُ الْحَسْحَاسِ.

قَالَ أَبُو غَسَّانَ: وَقَبْرُهُمْ مِمَّا يَلِي المَغْرِبَ عَنْ قَبْرِ حَمْزَةَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَبْرِ حَمْزَةَ نَحْوٌ مِنْ خَمْسِمِائَةِ ذِرَاعٍ.

[تاريخ المدينة لابن شبة ١/ ١٢٨].

أصيرم بني عبد الأشهل ﷺ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنْ عَمْرَو بْنَ أُقَيْشٍ كَانَ لَهُ رِبًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ قَالُوا: **إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو**، قَالَ: **إِنِّي قَدْ آمَنْتُ**، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ فَقَالَ لِأُخْتِهِ: **سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ أَوْ غَضَبًا لَهُمْ، أَمْ غَضَبًا لله**، فَقَالَ: **بَل غَضَبًا لله وَلِرَسُولِهِ**، فَمَاتَ فَدَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَا صَلَّى لله صَلَاةً».

[أبو داود في الجهاد (٢٥٣٧)، وقال الشيخ الألباني: حسن].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ كَانَ يَقُولُ: **حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ؟** فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ: مَنْ هُوَ؟ فَيَقُولُ: **أُصَيْرِمُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ**، قَالَ الحُصَيْنُ (أحد رواة الحديث) فَقُلتُ لِمَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ: كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الأُصَيْرِمِ؟ قَالَ: كَانَ يَأْبَى الإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أُحُدٍ بَدَا لَهُ الإِسْلَامُ فَأَسْلَمَ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَغَدَا حَتَّى أَتَى القَوْمَ، فَدَخَلَ فِي عُرْضِ النَّاسِ (معظمهم)، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ (حبسته وأسكنته) الجِرَاحَةُ، قَالَ: فَبَيْنَا رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ يَلتَمِسُونَ قَتْلَاهُمْ فِي المَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ، فَقَالُوا: **وَالله إِنَّ هَذَا لَلأُصَيْرِمُ! وَمَا جَاءَ؟! لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمُنْكِرٌ هَذَا الحَدِيثَ، فَاسْأَلُوهُ مَا جَاءَ بِهِ؟** قَالُوا: **مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو، أَحَدَبًا** (الحدب: العطف والحنو) **عَلَى قَوْمِكَ، أَوْ رَغْبَةً فِي الإِسْلَامِ؟** قَالَ: **بَل رَغْبَةً فِي الإِسْلَامِ، آمَنْتُ بِالله وَرَسُولِهِ، وَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَاتَلتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي**، قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لِمَنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

[مسند أحمد ٣٩/ ٤١-٤٢ رقم ٢٣٦٣٤، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، ومجمع الزوائد في المناقب ٩/ ٦٠٦ رقم ١٥٩٥٩، وقال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله ثقات].

وقال الواقدي: «كَانَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ شَاكًّا فِي الإِسْلَامِ، فَكَانَ قَوْمُهُ يُكَلِّمُونَهُ فِي الإِسْلَامِ فَيَقُولُ: **لَوْ أَعْلَمُ مَا تَقُولُونَ حَقًّا مَا تَأَخَّرْتُ عَنْهُ**، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ بَدَا لَهُ الإِسْلَامُ، وَرَسُولُ الله ﷺ بِأُحُدٍ، فَأَسْلَمَ وَأَخَذَ سَيْفَهُ، فَخَرَجَ حَتَّى دَخَلَ فِي القَوْمِ، فَقَاتَلَ حَتَّى أُثْبِتَ فَوُجِدَ فِي القَتْلَى جَرِيحًا مَيِّتًا، فَدَنَوْا مِنْهُ وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ فَقَالُوا: **مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو؟** قَالَ: **الإِسْلَامُ، آمَنْت بِالله وَبِرَسُولِهِ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي وَحَضَرْتُ، فَرَزَقَنِي اللهُ الشَّهَادَةَ**، وَمَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّهُ لِمَنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

قَالَ الوَاقِدِيُّ: فَحَدَّثَنِي خَارِجَةُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الحُصَيْنِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ مَوْلَى ابْنِ أَبِي أَحْمَدَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ: **أَخْبِرُونِي بِرَجُلٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ لله سَجْدَةً قَطُّ**، فَيَسْكُتُ النَّاسُ، فَيَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: **هُوَ أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ**».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٦٢].

قُزْمَان والقتال على القومية:

قال ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَتَى لَا يُدْرَى مِمَّنْ هُوَ يُقَالُ لَهُ قُزْمَانُ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ إِذَا ذُكِرَ لَهُ: «**إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، قَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ وَحْدَهُ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً مِنْ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ ذَا بَأْسٍ، فَأَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ، فَاحْتُمِلَ إِلَى دَارِ بَنِي ظَفَرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ لَهُ: **وَالله لَقَدْ أَبْلَيْتَ الْيَوْمَ يَا قُزْمَانُ، فَأَبْشِرْ**، قَالَ: **بِمَاذَا أُبَشَّرُ؟ فَوَالله إِنْ قَاتَلْتُ إِلَّا عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَاتَلْتُ** [(١)]، قَالَ: فَلَمَّا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ جِرَاحَتُهُ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَقَتَلَ بِهِ نَفْسَه. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٨٧، وقال الشيخ العلي: والإسناد حسن ورجاله ثقات، إلا أنه مرسل وهو يعتد به كشاهد للمتابعة والله أعلم. صحيح السيرة النبوية ص ٢٢٣].

وقال الواقدي: «وَكَانَ قُزْمَانُ مِنْ الْمُنَافِقِينَ، وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ أُحُدٍ، فَلَمَّا أَصْبَحَ عَيَّرَهُ نِسَاءُ بَنِي ظَفَرٍ، فَقُلْنَ: **يَا قُزْمَانُ، قَدْ خَرَجَ الرِّجَالُ وَبَقِيتَ! يَا قُزْمَانُ، أَلا تَسْتَحْيِيَ مِمَّا صَنَعْتَ؟ مَا أَنْتَ إلاَّ امْرَأَةٌ خَرَجَ قَوْمُك فَبَقِيتَ فِي الدَّارِ!**

فَأَحْفَظَتْهُ، فَدَخَلَ بَيْتَهُ فَأَخْرَجَ قَوْسَهُ وَجُعْبَتَهُ وَسَيْفَهُ ـ وَكَانَ يُعْرَفُ بِالشَّجَاعَةِ ـ فَخَرَجَ يَعْدُو حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُسَوِّي صُفُوفَ الْمُسْلِمِينَ، فَجَاءَ مِنْ خَلْفِ الصُّفُوفِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ فَكَانَ فِيهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَجَعَلَ يُرْسِلُ نَبْلًا كَأَنَّهَا الرِّمَاحُ وَإِنَّهُ لَيَكِتُّ كَتِيتَ الْجَمَلِ (كت البعير يكت إذا صاح صياحًا لينًا)، ثُمَّ صَارَ إِلَى السَّيْفِ فَفَعَلَ الأَفَاعِيلَ، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ ذَلِكَ قَتَلَ نَفْسَهُ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ: «**مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَلَمَّا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ كَسَرَ جَفْنَ (غمد) سَيْفِهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: **الْمَوْتُ أَحْسَنُ مِنْ الْفِرَارِ، يَا آلَ أَوْسٍ قَاتِلُوا عَلَى الأَحْسَابِ، وَاصْنَعُوا مِثْلَ مَا أَصْنَعُ!**

قَالَ: فَيَدْخُلُ بِالسَّيْفِ وَسْطَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُقَالَ: قَدْ قُتِلَ، ثُمَّ يَطْلُعُ وَيَقُولُ: **أَنَا الْغُلامُ الظَّفَرِيُّ! حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعَةً**، وَأَصَابَتْهُ الْجِرَاحَةُ وَكَثُرَتْ بِهِ فَوَقَعَ، فَمَرَّ بِهِ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ﷺ، فَقَالَ: أَبَا الْغَيْدَاقُ، قَالَ لَهُ قُزْمَانُ: يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: هَنِيئًا لَك الشَّهَادَةَ، قَالَ قُزْمَانُ: **إِنِّي وَالله مَا قَاتَلْتُ يَا أَبَا عَمْرٍو عَلَى دِينٍ، مَا قَاتَلْتُ إِلَّا عَلَى الْحِفَاظِ أَنْ تَسِيرَ قُرَيْشٌ إِلَيْنَا حَتَّى تَطَأَ سَعَفَنَا**، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ جِرَاحَتُهُ فَقَالَ: «**مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَأَنْذَبَتْهُ الْجِرَاحَةُ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٢٣-٢٢٤].

---

(١) وعقيدة قُزمان هذا هي عقيدة القوميين العلمانيين غير الدينيين الذين يرون أنه من الرجعية والطائفية التزام الكفاح في سبيل الإسلام وباسمه، بل إنهم ليحاربون كل مَنْ يدعو إلى الإسلام ليتخذ المسلمون منه ـ في الوطن العربي ـ دينًا ودولة، ويستنكرون حتى محاربة المستعمرين باسم الإسلام، ومع هذا يدعي البعض منهم أنه مسلم، بل لا يخجل مع هذا أن يشبه نفسه بصلاح الدين الأيوبي وأمثاله من قادة الأمة الإسلامية المجيدة.
فهل تظن أن مصير هؤلاء عند الله أحسن من مصير قزمان؟

«وَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ: أَصَابَنِي الجِرَاحُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَـمَّا رَأَيْتُ مَثْلَ الْمُشْرِكِينَ بِقَتْلَى الْمُسْلِمِينَ أَشَدَّ الْمَثْلِ وَأَقْبَحَهُ قُمْتُ فَتَجَاوَزْتُ عَنْ القَتْلَى حَتَّى تَنَحَّيْتُ، فَإِنِّي لَفِي مَوْضِعِي، إِذْ أَقْبَلَ **خَالِدُ بْنُ الأَعْلَمِ العُقَيْلِيُّ** جَامِعُ اللأْمَةِ يَحُوزُ (يجمع ويسوق) الْمُسْلِمِينَ يَقُولُ: اسْتَوْسِقُوا كَمَا يُسْتَوْسَقُ جُرْبُ الغَنَمِ! مُدَجَّجًا فِي الحَدِيدِ يَصِيحُ: **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لا تَقْتُلُوا مُحَمَّدًا، ائْسِرُوهُ أَسِيرًا حَتَّى نُعَرِّفُهُ بِمَا صَنَعَ**، وَيَصْمُدُ لَهُ قُزْمَانُ، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً عَلَى عَاتِقِهِ رَأَيْتُ مِنْهَا سَحْرَهُ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ وَانْصَرَفَ، وَطَلَعَ عَلَيْهِ آخَرُ مِنْ الْمُشْرِكِينَ مَا أَرَى مِنْهُ إلا عَيْنَيْهِ، فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً وَاحِدَةً حَتَّى جَزَلَهُ بِاثْنَيْنِ، قَالَ: قُلْنَا: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: الوَلِيدُ بْنُ العَاصِ بْنِ هِشَامٍ، ثُمَّ يَقُولُ كَعْبٌ: إِنِّي لأَنْظُرُ يَوْمَئِذٍ، وَأَقُولُ: **مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ أَشْجَعَ بِالسَّيْفِ! ثُمَّ خُتِمَ لَهُ بِمَا خُتِمَ لَهُ بِهِ، فَيَقُولُ: مَا هُوَ وَمَا خُتِمَ لَهُ بِهِ؟** فَقَالَ: **مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَتَلَ نَفْسَهُ يَوْمَئِذٍ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٦٠].

«قَالُوا: وَكَانَ قُزْمَانُ عَدِيدًا فِي بَنِي ظَفَرٍ لا يُدْرَى مِمَّنْ هُوَ، وَكَانَ لَهُمْ حَائِطًا مُحْبًّا، وَكَانَ مُقِلًّا لا وَلَدَ لَهُ وَلا زَوْجَةَ، وَكَانَ شُجَاعًا يُعْرَفُ بِذَلِكَ فِي حُرُوبِهِمْ تِلْكَ التِي كَانَتْ تَكُونُ بَيْنَهُمْ، فَشَهِدَ أُحُدًا فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا فَقَتَلَ سِتَّةً أَوْ سَبْعَةً وَأَصَابَتْهُ الجِرَاحُ، فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: **قُزْمَانُ قَدْ أَصَابَتْهُ الجِرَاحُ فَهُوَ شَهِيدٌ**، قَالَ: «**مِنْ أَهْلِ النَّارِ**».

فَأُتِيَ إِلَى قُزْمَانُ فَقِيلَ لَهُ: **هَنِيئًا لَكَ يَا أَبَا الغَيْدَاقِ الشَّهَادَةَ**، قَالَ: **بِمَ تُبَشِّرُونِ؟ وَاللهِ مَا قَاتَلْنَا إِلَّا عَلَى الأَحْسَابِ، قَالُوا: بَشَّرْنَاكَ بِالجَنَّةِ، قَالَ: جَنَّةٌ مِنْ حَرْمَلٍ، وَاللهِ مَا قَاتَلْنَا عَلَى جَنَّةٍ وَلا عَلَى نَارٍ، إِنَّمَا قَاتَلْنَا عَلَى أَحْسَابِنَا**، فَأَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَجَعَلَ يَتَوَجَّأُ بِهِ نَفْسَهُ، فَلَـمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ المِشْقَصُ أَخَذَ السَّيْفَ فَاتَّكَأَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ.

فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**مِنْ أَهْلِ النَّارِ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٦٣-٢٦٤].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: التَقَى النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُشْرِكُونَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَاقْتَتَلُوا، فَمَالَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ مِنْ الْمُشْرِكِينَ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا فَضَرَبَهَا بِسَيْفِهِ، فَقِيلَ: **يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَجْزَأَ أَحَدٌ مَا أَجْزَأَ فُلَانٌ!** فَقَالَ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقَالُوا: **أَيُّنَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟!** فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ القَوْمِ: **لَأَتَّبِعَنَّهُ**، فَإِذَا أَسْرَعَ وَأَبْطَأَ كُنْتُ مَعَهُ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نِصَابَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ**، فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**»، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ ـ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ـ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ـ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ـ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

وفي رواية: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ**». [البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٢)، وفي المغازي (٤٢٠٢، ٤٢٠٧)، وفي القدر (٦٥٩٤)، وفي التوحيد (٧٤٥٤)، ومسلم في الإيمان (١١٢)، وفي الإيمان (١١١) عن أبي هريرة ﷺ،

ولكنه ذكرها في غزوة حنين، وأبو داود في السنة (٤٧٠٨)، والترمذي في القدر (٢١٣٧)، وابن ماجه في المقدمة (٧٦)، وأحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ (٣٦١٧، ٣٩٢٤، ٤٠٨٠)، وعن سهل بن سعد ﷺ (٢٢٣٠٦، ٢٢٣٢٨)، وأخرجه الهيثمي عن أبي يعلى مطولًا. مجمع الزوائد ٦/ ١٦٧ كتاب المغازي والسير (١٠٠٩١)، وقال الهيثمي: قلت: هو في الصحيح باختصار، رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ الله ، يَوْمَ أُحُدٍ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا أَتَى فُلَانٌ، آتَاهُ رَجُلٌ، لَقَدْ فَرَّ النَّاسُ وَمَا فَرَّ، وَمَا تَرَكَ لِلْمُشْرِكِينَ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا تَبِعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، قَالَ: «**وَمَنْ هُوَ؟**» قَالَ: فَنُسِبَ لِرَسُولِ الله ﷺ نَسَبُهُ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ، ثُمَّ وُصِفَ لَهُ بِصِفَتِهِ ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ ، حَتَّى طَلَعَ الرَّجُلُ بِعَيْنِهِ، فَقَالَ: ذَا يَا رَسُولَ الله الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ عَنْهُ، فَقَالَ: «**هَذَا؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، قَالُوا: وَأَيُّنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِذَا كَانَ فُلَانٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا قَوْمُ انْظُرُونِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَمُوتُ عَلَى مِثْلِ الَّذِي أَصْبَحَ عَلَيْهِ، وَلَأَكُونَنَّ صَاحِبَهُ مِنْ بَيْنِكُمْ، ثُمَّ رَاحَ عَلَى جَدِّهِ فِي الْغَدِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَشُدُّ مَعَهُ إِذَا شَدَّ، وَيَرْجِعُ مَعَهُ إِذَا رَجَعَ، فَيَنْظُرُ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ ، حَتَّى أَصَابَهُ جُرْحٌ أَذْلَقَهُ (أضعفه)، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ قَائِمَةَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ وَضَعَ ذُبَابَهُ [ذُبَابَتَهُ] بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ، وَخَرَجَ الرَّجُلُ يَعْدُو، وَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله، حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «**وَذَاكَ مَاذَا؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ الله، الرَّجُلُ الَّذِي ذُكِرَ لَكَ، فَقُلْتَ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: فَأَيُّنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِذَا كَانَ فُلَانٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ فَقُلْتُ: يَا قَوْمِ انْظُرُونِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَمُوتُ عَلَى مِثْلِ الَّذِي أَصْبَحَ عَلَيْهِ، وَلَأَكُونَنَّ صَاحِبَهُ مِنْ بَيْنِكُمْ، فَجَعَلْتُ أَشُدُّ مَعَهُ إِذَا شَدَّ، وَأَرْجِعُ مَعَهُ إِذَا رَجَعَ، وَأَنْظُرُ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُهُ، حَتَّى أَصَابَهُ جُرْحٌ أَذْلَقَهُ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ قَائِمَةَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ، وَوَضَعَ ذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرِهِ، فَهُوَ ذَاكَ يَا رَسُولَ الله، يَتَضَرَّبُ [يَضْطَرِبُ] بَيْنَ أَضْغَاثِهِ (أخلاطه) [أَصْفَاقِهِ]، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

[مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٦٧ رقم ١٠٠٩١، وقال الهيثمي: قلت: هو في الصحيح باختصار، رواه أبو يعلى [مسند أبي يعلى ١٣/ ٥٣٨ رقم ٧٥٤٤، وقال أسد: إسناده صحيح]، ورجاله رجال الصحيح. مسند ابن الجعد ص ٤٣٠ رقم ٢٩٣٠، ٢٩٣١. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٥٦].

وعَنْ أَكْثَمَ بْنِ أَبِي الْجَوْنِ ﷺ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، فُلَانٌ يَجْرِي فِي الْقِتَالِ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، إِذَا كَانَ فُلَانٌ فِي عِبَادَتِهِ وَاجْتِهَادِهِ وَلِينِ جَانِبِهِ فِي النَّارِ، فَأَيْنَ نَحْنُ؟ قَالَ: «**إِنَّمَا ذَلِكَ إِخْبَاتُ النِّفَاقِ، وَهُوَ فِي النَّارِ**» قَالَ: كُنَّا نَتَحَفَّظُ عَلَيْهِ فِي الْقِتَالِ، كَانَ لَا يَمُرُّ بِهِ فَارِسٌ، وَلَا رَاجِلٌ إِلَّا

وَثَبَ عَلَيْهِ، فَكَثُرَ عَلَيْهِ جِرَاحُهُ، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، اسْتُشْهِدَ فُلَانٌ، قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**» فَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ أَلَمُ الْجِرَاحِ أَخَذَ سَيْفَهُ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، تُدْرِكُهُ الشِّقْوَةُ أَوِ السَّعَادَةُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِهَا**». [مجمع الزوائد ٧/ ٤٣٣ رقم ١١٩٢٦، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١/ ٢٩٦ رقم ٨٧٢]، وإسناده حسن. الأحاديث المختارة للمقدسي ٤/ ٣٣٣ رقم ١٥٠٦، وقال المقدسي: لهذا الحديث شاهد في الصحيحين من حديث سهل بن سعد وأبي هريرة ﷺ].

الغلام الفارسي:

عَنْ أَبِي عُقْبَةَ ـ وَكَانَ مَوْلًى مِنْ أَهْلِ فَارِسَ [مَوْلَى جَبْرِ بْنِ عَتِيكٍ] ـ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ أُحُدًا [مَعَ مَوَالِيَّ]، فَضَرَبْتُ رَجُلًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَقُلْتُ: **خُذْهَا مِنِّي، وَأَنَا الْغُلَامُ [الرَّجُلُ] الْفَارِسِيُّ**، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ [فبلغت رَسُولَ الله ﷺ]، فَقَالَ: «**فَهَلَّا قُلْتَ [أَلَا قَالَ]: خُذْهَا مِنِّي، وَأَنَا الْغُلَامُ [الرَّجُلُ] الأَنْصَارِيُّ؟ فَإِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ [مِنْ أَنْفُسِهِمْ]**». [أبو داود في الأدب (٥١٢٣)، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٤)، ومسند أحمد ٣٧/ ١٩٣ رقم ٢٢٥١٥، وقال الشيخان الألباني والأرناؤوط: إسناده ضعيف، ومجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٦٦ رقم ١٠٠٨٩، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى [مسند أبي يعلى ٢/ ٢١٢ رقم ٩١٠، وقال الشيخ أسد: إسناده حسن]، ورجاله ثقات، والمطالب العالية لابن حجر ١٧/ ٣٧٠ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٨)، وضعف محققه إسناده. وقال الشيخ العلي: إسناده حسن. صحيح السيرة النبوية ص ٣٠١].

مُخَيْرِيقٌ خَيْرُ يَهُودَ:

قال الواقدي: «قَالُوا: وَكَانَ مُخَيْرِيقٌ اليَهُودِيُّ مِنْ أَحْبَارِ اليَهُودِ، فَقَالَ: **يَوْمَ السَّبْتِ وَرَسُولُ الله ﷺ بِأُحُدٍ، يَا مَعْشَرَ اليَهُودِ، وَالله إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ، وَأَنَّ نَصْرَهُ عَلَيْكُمْ لَحَقٌّ**، قَالُوا: **إِنَّ اليَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ**، قَالَ: **لا سَبْتَ!** ثُمَّ أَخَذَ سِلاحَهُ، ثُمَّ حَضَرَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَصَابَهُ القَتْلُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مُخَيْرِيقٌ خَيْرُ يَهُودَ**».

وَقَدْ كَانَ مُخَيْرِيقٌ حِينَ خَرَجَ إِلَى أُحُدٍ، قَالَ: **إِنْ أُصِبْتُ فَأَمْوَالِي لِمُحَمَّدٍ يَضَعُهَا حَيْثُ أَرَاهُ الله! فَهِيَ** عَامَّةُ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٦٢-٢٦٣].

وذكر السهيلي أن رسول الله ﷺ جعل أموال مخيريق اليهودي (بعد قتله) (وكانت سبعة بساتين) أوقافًا بالمدينة لله، ويقال إنها أول أوقاف بالمدينة. [غزوة أُحد لباشميل ٢٠٣].

حجم هزيمة المشركين:

«ولم يترك المسلمون فرصة للمشركين المنهزمين ليجمعوا صفوفهم التي بعثرتها حملات المسلمين الصاعقة، وكان منظرًا رائعًا حقًّا، سبعمائة مقاتل يشتتون ثلاثة آلاف مقاتل يفوقونهم في كل شيء إلا الإيمان.

لقد كانت هزيمة قريش هزيمة منكرة، إلى درجة أن الصنم الذي احتملته القيادة للتبرك به سقط من فوق الجمل الذي كان يحمله، وتحطم تحت أقدام عابديه دون أن يفكر فيه أحد؛ لأن الهزيمة أنستهم كل شيء.

وبلغت الهزيمة بالمشركين إلى أن جلوا عن معسكرهم تمامًا فاحتله المسلمون، وأحاطوا بمن فيه من نساء المشركين.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَصَدَقَهُمْ وَعْدَهُ فَحَسُّوهُمْ بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ عَنْ الْعَسْكَرِ وَكَانَتْ الهَـزِيمَةُ لَا شَكَّ فِيهَا. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٧٧].

وعَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ قَالَ: «وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنْظُرُ إِلَى [خَدَمِ] هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ وَصَوَاحِبَهَا مُشَمِّرَاتٍ هَوَارِبَ، مَا دُونَ أَخْذِهِنَّ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، إِذْ مَالَتِ الرُّمَاةُ إِلَى الْعَسْكَرِ، حَتَّى [حِينَ] كَشَفَنَا الْقَوْمُ عَنْهُ يُرِيدُونَ النَّهْبَ، وَخَلَّوْا ظَهْرَنَا لِلْخَيْلِ، فَأُتِينَا مِنْ أَدْبَارِنَا، وَصَرَخَ صَارِخٌ: **أَلَا أَنَّ مُحَمَّدًا قُتِلَ** (قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الصَّارِخُ: أَزَبُّ الْعَقَبَةِ، يَعْنِي الشَّيْطَانَ)، فَانْكَفَأْنَا (رَجَعْنَا)، وَانْكَفَأَ الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ أَصَبْنَا اللِّوَاءَ حَتَّى مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ». [المستدرك على الصحيحين ٣/ ٢٩ رقم ٤٣١٦، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والأحاديث المختارة للمقدسي ٣/ ٧٦ رقم ٨٨٢، وسيرة ابن هشام ٢/ ٧٧-٧٨، وسنده صحيح. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٤٩].

وقَالَ الزُّبَيْرُ ﷺ: وَاللهِ إِنِّي لأَنْظُرُ يَوْمَئِذٍ إِلَى خَدَمِ النِّسَاءِ، مُشَمِّرَاتٌ يَسْعَيْنَ حِينَ انْهَزَمَ القَوْمُ، مَا أَرَى دُونِ أَخْذِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنَّا لَنَحْسَبُهُمْ قَتْلَى مَا يَرْجِعُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُصِيبَ أَصْحَابُ اللِّوَاءِ، وَصَبَرُوا عِنْدَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى عَبْدٍ حَبَشِيٍّ، يُقَالُ لَهُ (صُوَابٌ)، ثُمَّ قُتِل صُوَابٌ، فَطَرَحَ اللِّوَاءَ، فَمَا يَقْرَبُهُ أَحَدٌ مِنْ خَلقِ اللهِ تَعَالَى، حَتَّى وَثَبَتْ إِلَيْهِ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلقَمَةَ الحَارِثِيَّةُ، فَرَفَعَتْهُ لهُمْ، وَثَابَ إِلَيْهِ النَّاسُ.

[المطالب العالية لابن حجر ١٧/ ٣٤٣ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٠/ ١)، وقال: هذا إسناده صحيح له شاهد في الصحيح من حديث البراء ﷺ].

وقال في السيرة الحلبية: «ثُمَّ لَـمَّا قُتِلَ أَصْحَابُ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ يَدْنُو مِنْهُ انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ وَوَلَّوْا الأَدْبَارَ لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ وَنِسَاؤُهُمْ يَدْعُونَ بِالوَيْلِ بَعْدَ فَرَحِهِمْ وَضَرْبِهِمْ بِالدُّفُوفِ، وَأَلْقَيْنَ الدُّفُوفَ وَقَصَدْنَ الجَبَلَ كَاشِفَاتٍ سِيقَانَهُنَّ يَرْفَعْنَ ثِيَابَهُنَّ، وَتَبِعَ الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ يَضَعُونَ فِيهِمْ السِّلَاحَ وَيَنْتَهِبُونَ الغَنَائِمَ». [السيرة الحلبية ٢/ ٣٠٨].

نصر الله للمؤمنين:

«وهكذا مرة أخرى انهزم الكفر أمام الإيمان، مع التفاوت الهائل في العدد والعدة، فتبعثر ثلاثة آلاف مقاتل من المشركين أمام سبعمائة محارب من المسلمين، كما يتبعثر الورق اليابس أمام العاصفة.

وكادت المدينة تسجل مرة أخرى، على مكة نصرًا ساحقًا، لا يقل روعة وفعالية عن النصر الذي سجلته عليها يوم الملحمة الأولى (ملحمة بدر).

ولكن ـ كما يقولون ـ هناك مزالق بين الكأس والشفة، ذلك أن عملًا واحدًا من أعمال الخروج على النظام والانضباط العسكري [(١)]، ارتكبه الرماة المتمركزون في الجبل حَوَّل نصر المسلمين المؤزر إلى كارثة.

كان النبي ﷺ ـ كقائد عسكري ـ خبير مسؤول قد اختار ـ وفقًا للخطة المرسومة ـ فصيلة من رماة النبل بقيادة آمر مسؤول، وأمرها بأن تتمركز في جبل عينين ـ كما ذكرنا ذلك فيما مضى ـ ـ وأفهم هذه الفصيلة بأن مهمتها الرئيسة هي حماية ظهر الجيش الإسلامي، وصد أية محاولة في أي وقت يقوم بها خيالة المشركين، بأن يلزموا مواقعهم في الجبل حتى يتلقوا منه ﷺ أوامر خاصة.

ولكي يدركوا خطورة الواجب الملقى على عاتقهم، وأن مصير الجيش الإسلامي قد يكون في ساعة من الساعات مرتبطًا ببقائهم في هذا الجبل حذرهم من مغادرتهم حتى ولو رأوا الطير تتخطف المسلمين». [**غزوة أُحد لباشميل ١١٥ - ١١٦**].

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: مَا نُصِرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَوْطِنٍ كَمَا نُصِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كِتَابُ اللهِ عز وجل، إِنَّ اللهَ عز وجل يَقُولُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: وَالْحِسُّ الْقَتْلُ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران] وَإِنَّمَا عَنَى بِهَذَا الرُّمَاةَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَامَهُمْ فِي مَوْضِعٍ ثُمَّ قَالَ: «**اثْبُتُوا ظُهُورَنَا فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ، فَلَا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا، فَلَا تَشْرَكُونَا**».

فَلَمَّا غَنَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبَاحُوا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ، انْكَشَفَ الرُّمَاةُ جَمِيعًا، فَدَخَلُوا فِي الْعَسْكَرِ يَنْتَهِبُونَ، وَقَدِ الْتَقَتْ صُفُوفُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَهُمْ هَكَذَا ـ وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ ـ وَالْتَبَسُوا، فَلَمَّا أَخَلَّ الرُّمَاةُ تِلْكَ الْخَلَّةَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، دَخَلَ الْخَيْلُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالْتَبَسُوا، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَقَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَوَّلُ النَّهَارِ حَتَّى قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ سَبْعَةٌ أَوْ تِسْعَةٌ، وَجَالَ الْمُسْلِمُونَ جَوْلَةً نَحْوَ الْجَبَلِ، وَلَمْ يَبْلُغُوا حَيْثُ يَقُولُ النَّاسُ الْغَابَ [الْغَارَ]، إِنَّمَا كَانَ تَحْتَ الْمِهْرَاسِ، وَصَاحَ الشَّيْطَانُ: **قُتِلَ مُحَمَّدٌ**، فَلَمْ يَشُكُّوا فِيهِ

---

(١) **الانضباط العسكري**: تعبير عسكري يُراد به تنفيذ الأوامر نصًّا وروحًا برحابة صدر، والانضباط العسكري هو الطابع المميز للجيش عن المدنيين، وفي بعض الدول يُدعى الضبط العسكري، وهو الإطاعي وتنفيذ الأوامر بدون تردد.

أَنَّهُ حَقٌّ، فَمَا زِلْنَا كَذَلِكَ مَا نَشُكُّ أَنَّهُ قُتِلَ حَتَّى طَلَعَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ السَّعْدَيْنِ فَعَرَفْنَاهُ بِتَكَفُّئِهِ إِذَا مَشَى، قَالَ: فَفَرِحْنَا حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يُصِبْنَا مَا أَصَابَنَا، قَالَ: فَرَقِيَ نَحْوَنَا، وَهُوَ يَقُولُ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ**»، قَالَ: وَيَقُولُ مَرَّةً أُخْرَى: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ لَـهُمْ أَنْ يَعْلُونَا**»، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا...

[مسند أحمد ٤/ ٣٦٨-٣٦٨٩ رقم ٢٦٠٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٢٤ كتاب تفسير القرآن رقم ٣١٦٣، وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، والمعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٣٠١ رقم ١٠٧٣١، والمغازي للواقدي ١/ ٢٩٦-٢٩٧].

الخوف من اقتحام الخيالة الجبل:

«وقد كان أخشى ما يخشاه الرسول ﷺ هو أن يعمد سلاح فرسان المشركين إلى مباغتة المسلمين وضربهم من الخلف ساعة احتدام المعركة.

ولما كانت هذه العملية التي كان يخشى أن تقوم بها خيل قريش، لا يمكن القيام بها إلا عن الطريق الذي يشرف عليه الجبل الذي تمركز فيه المسلمون، لفت ﷺ نظر هؤلاء الرماة بصفة خاصة إلى خطر خيل مكة وأمرهم بأن يترقبوها دائمًا، ويرشقوها بالنبل إن حاولت المرور لضرب المسلمين من الخلف.

وفعلًا حدث الذي كان يخشاه الرسول ﷺ ويتوقع حدوثه، فقد فكر فيه خالد بن الوليد قائد سلاح فرسان المشركين منذ اللحظة الأولى.

فقد ظل ابن الوليد يرقب مواقع الرماة في الجبل مراقبة دقيقة، ويتحين الفرص لعله يجد فرصة لاقتحام الموقع في الجبل وإجلاء المرابطين أو إبادتهم، ثم التسرب من فم الشعب إلى داخله، لضرب المسلمين من الخلف وإحداث الارتباك في صفوفهم في أول المعركة.

وفعلًا قام في بداية الملحمة بثلاث هجمات لاقتحام الشعب من ناحيته الغربية ـ وهي الناحية الوحيدة الصالحة لانطلاق خيله ـ ولكنه فشل في كل هذه الهجمات فشلًا تامًّا حيث أصلاه المرابطون في الجبل نارًا حامية من سهامهم، فارتد بخيله؛ لأن الخيالة لا يقدمون الخيل على النبل». [غزوة أُحد لباشميل ١١٦-١١٧].

قيام الرماة بواجبهم أول المعركة:

«وهكذا قام الرماة بواجبهم في أول المعركة خير قيام، حيث صَدَّت نبالهم الحادة كل المحاولات التي قام بها فرسان خالد بن الوليد لاقتحام فم الشعب في أول المعركة.

وظلت مؤخرة المسلمين في مأمن تحت حراسة هؤلاء الرماة الأشداء في جميع مراحل المعركة، حتى ساعة الانتكاسة وهذا يعني أن فصيلة الرماة قد ساهمت مساهمة كبرى في تحقيق النصر الذي أحرزه المسلمون ضد المشركين في أول المعركة». [غزوة أُحد لباشميل ١١٧].

غلطة الرماة الشنيعة:

«ولكن هؤلاء الرماة إذا كان ذلك شأنهم في أول المعركة، فإنهم قد تسببوا في النهاية في كارثة مروعة أضاعت كل ثمرات النصر التي أحرزها المسلمون ببسالتهم، كما تسبب هؤلاء الرماة في مصرع أكثر من ستين مسلمًا من جند المدينة، وكادوا يكونون سببًا في مقتل النبي الأعظم ﷺ الذي تعرض ـ نتيجة لغلطة هؤلاء الرماة ـ لجراحات كثيرة، وتفصيل ذلك أن هؤلاء الرماة (وعددهم خمسون) لما رأوا أن المسلمين قد كشفوا المشركين عن المعسكر وركبوا ظهورهم يقتلون ويغنمون، ورأوا لواء المشركين مطروحًا على التراب تأكدوا من هزيمة العدو، وهنا اختلفوا فيما بينهم.

فبينما كان سَواد الجيش الإسلامي يوالي ضرباته ضد العدو المنهزم، كان النقاش يدور حادًّا بين الرماة في الجبل حول ما إذا كان من حقهم تَرْك مواقعهم للاشتراك في مطاردة العدو وأخذ حصتهم من الغنائم التي رأوها مبعثرة على أرض المعركة فسال لها لعاب أكثرهم.

وكانت الأغلبية من الرماة تميل إلى ترك الجبل والاشتراك في جمع الغنائم».

[غزوة أُحد لباشميل ١١٧-١١٨].

قال الواقدي: «لـمَّا انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ وَتَبِعَهُمْ الْمُسْلِمُونَ يَضَعُونَ السِّلاحَ فِيهِمْ حَيْثُ شَاؤُوا حَتَّى أَجْهَضُوهُمْ عَنْ العَسْكَرِ وَوَقَعُوا يَنْتَهِبُونَ العَسْكَرَ، قَالَ بَعْضُ الرُّمَاةِ لِبَعْضٍ: **لِمَ تُقِيمُونَ هَاهُنَا فِي غَيْرِ شَيْءٍ؟ قَدْ هَزَمَ اللهُ العَدُوَّ وَهَؤُلاءِ إخْوَانُكُمْ يَنْتَهِبُونَ عَسْكَرَهُمْ فَادْخُلُوا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ فَاغْنَمُوا مَعَ إخْوَانِكُمْ.**

فَقَالَ بَعْضُ الرُّمَاةِ لِبَعْضٍ: أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لَكُمْ: «**اثْبُتُوا ظُهُورَنَا، فَلا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا غَنِمْنَا فَلا تَشْرَكُونَا، اثْبُتُوا ظُهُورَنَا؟**».

فَقَالَ الآخَرُونَ: **لَمْ يُرِدْ رَسُولُ الله هَذَا، وَقَدْ أَذَلَّ اللهُ الْمُشْرِكِينَ، وَهَزَمَهُمْ، فَادْخُلُوا العَسْكَرَ، فَانْتَهِبُوا مَعَ إخْوَانِكُمْ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٢٩].

قَالَ الزُّبَيْرُ ﷺ: فَوَالله إنَّا كَذَلِكَ قَدْ عَلَوْنَاهُمْ وَظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ إذْ خَالَفَتِ الرُّمَاةُ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَقْبَلُوا إلَى العَسْكَرِ حِينَ رَأَوْهُ مُحْتَلًّا قَدْ أَجْهَضْنَاهُمْ عَنْهُ، فَرَغَبُوا عَلَى الغَنَائِمِ، وَتَرَكُوا عَهْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ الأَمْتِعَةَ، فَأَتَتْنَا الخَيْلُ مِنْ خَلفِنَا، فَحَطَّمَتْنَا، وَكَرَّ النَّاسُ مُنْهَزِمِينَ، فَصَرَخَ صَارِخٌ يَرَوْنَ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ: **أَلا إنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ**، فَأَعْظَمَ النَّاسُ، وَرَكَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَصَارُوا أَثْلاثًا: ثُلُثًا جَرِيحًا، وثُلُثًا مَقْتُولًا، وثُلُثًا مُنْهَزِمًا، قَدْ بَلَغَتِ الحَرْبُ، وَقَدْ كَانَتْ الرُّمَاةُ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ رَأَوْا النَّاسَ وَقَعُوا فِي الغَنَائِمِ، وَقَدْ هَزَمَ اللهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ، وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ الغَنَائِمَ: فَمَاذا تَنْتَظِرُونَ؟، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: تَقَدَّمَ إلَيْكُمْ رَسُولُ الله ﷺ، وَنَهَاكُمْ أَنْ تُفَارِقُوا مَكَانَكُمْ إنْ كَانَتْ عَلَيْهِ أَوْ لَهُ، فَتَنَازَعُوا فِي ذَلِكَ، ثُمَّ إنَّ

الطَّائِفَةَ الأُولَى مِنَ الرُّمَاةِ أَبَتْ إِلَّا أَنْ تَلحَقَ بِالعَسْكَرِ، فَتَفَرَّقَ القَوْمُ، وَتَرَكُوا مَكَانَهُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حَمَلَتْ خَيْلُ الـمُشْرِكِينَ. [المطالب العالية لابن حجر١٧/ ٣٤٣-٣٤٤ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٠/ ١)، وقال: هذا إسناده صحيح له شاهد في الصحيح من حديث البراء ﷺ].

الرماة يخالفون أمر قائدهم:

«ولكن آمر الموقع وقائد الرماة المسؤول عبد الله بن جبير الأنصاري ﷺ كان يرى خلاف هذا الرأي، كان يرى أن من الضروري أن تطبق حرفيًّا أوامر النبي ﷺ القائد العام التي تقضي بعدم مغادرة الجبل إلا بأمر خاص منه.. ولما اشتد اللغط بين الرماة، وقف قائدهم فيهم خطيبًا، وحذَّر الذين استأذنوا في ترك مواقعهم، وذكَّرهم بأوامر الرسول ﷺ المشددة التي تقضي بعدم ترك الجبل مهما كانت الظروف والملابسات إلا بأمر من النبي ﷺ.

ثم أعلن هذا القائد بأنه مصمم على البقاء في الجبل حتى يتلقى الأوامر الخاصة من النبي ﷺ بالانسحاب أو يفنى، ثم نهى الذين استأذنوه، ولم يسمح لهم بمغادرة الجبل بل أمرهم بالبقاء في مراكزهم.

ولكن الأكثرية في الجبل من الرماة ـ ولأمر يريده الله ـ تمردوا على قائدهم، وتركوا مواقعهم في الجبل والتحقوا بسواد الجيش للمشاركة في جمع الغنائم ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[آل عمران: ١٥٢]، فبقي القائد ابن جبير ﷺ في الجبل منفردًا مع أقلية دون العشرة أطاعوه».

[غزوة أُحد لباشميل ١١٨-١١٩].

قال الواقدي: «فَلـمَّا اخْتَلَفُوا خَطَبَهُمْ أَمِيرُهُمْ عَبْدُ الله بْنُ جُبَيْرٍ ﷺ ـ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُعْلِمًا بِثِيَابٍ بِيضٍ ـ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِطَاعَةِ الله، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَلَّا يُخَالَفَ لِرَسُولِ الله أَمْرٌ، فَعَصَوْا وَانْطَلَقُوا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ الرُّمَاةِ مَعَ أَمِيرِهِمْ عَبْدِ الله بْنِ جُبَيْرٍ ﷺ إِلَّا نُفَيْرٌ مَا يَبْلُغُونَ العَشَرَةَ فِيهِمْ الحَارِثُ بْنُ أَنَسِ بْنِ رَافِعٍ، يَقُولُ: **يَا قَوْمِ اُذْكُرُوا عَهْدَ نَبِيِّكُمْ إِلَيْكُمْ، وَأَطِيعُوا أَمِيرَكُمْ.**

قَالَ: فَأَبَوْا وَذَهَبُوا إِلَى عَسْكَرِ الـمُشْرِكِينَ يَنْتَهِبُونَ، وَخَلَّوْا الجَبَلَ وَجَعَلُوا يَنْتَهِبُونَ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٢٩-٢٣٠].